العقد الأزرق

(رواية)

عبير ضاهر

المصرية السودانية الإماراتية
للنشر والتوزيع

العقد الأزرق

بطاقة الكتاب:

اسم الكتاب: العقد الأزرق
اسم المؤلف: عبير ضاهر.
نوع الكتاب: رواية
عدد الصفحـات: 203 صفحة
المقاس: 14x20
رقم إيداع: ٢٠٢١/٢٠٠٠٠م
الترقيم الدولي: 978-977-85792-0-8
الطبعة: الأولى، ٢٠٢١م

رئيس مجلس الإدارة

مها المقداد

للتواصل والطلب من داخل أو خارج مصر:

00201033966291-00201129195867

الغلاف والتنسيق الداخلي والمراجعة

فريق دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

أقر المؤلف بأنه وحده صاحب الحقوق الفكرية للكتاب، وأنه يضمن للناشر عدم التعرض من الغير بخصوص الملكية الفكرية, كما صرح أن هذا الكتاب ليس في مضمونه ما يمنعه القانون، وأن الآراء والأفكار التي يتضمنها محتوى الكتاب تعبر عن فكر المؤلف فقط ولا يعبر عن رأى الناشر، ولا يوجد داخل الكتاب نقل أو استعارة بما قد يعرّض الناشر للمسؤولية القانونية.

فريق العمل

دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

تصميم غلاف: إسلام عبد الحليم

اخراج فني: أمل النجار

دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع-مها المقداد

+201289024055

Mahaelmukdad@gmail.com

إهداء

إلى سنوات الصبر الجميل!

وإلى روح والدي

والذي مدّ كف يدّه مرّة أمام عيّنى، وأشار بالأخرى

كالقلم يخط على ورقة قائلا: اكتّبي حتى لاتنّسي

لن أنسى يا أبى..

***

"امنح من تحب الأجنحة حتى يطير، والجذور حتى يعود, والسبب حتى يبقى "

الدالاي لاما

(خريف ٢٠١٠ الرابعة عصرا)

القاتلة تلزم الصمت، وإفادة الطبيب تؤكد أن الطفل مات بالسم، كما تشير كافة الأدلة إلى أنها هي المتورطة الوحيدة بالجريمة.

يجهش محسن بالبكاء ويغطي وجهه بكفيه منتحبًا بوجع مكتوم، بصوت متقطع مبحوح، وقد تحرر من جاكيت البدلة ورابطة العنق، الملقيان جانبًا على الكرسي المواجه للكنبة التي يتمدد عليها، وصفحات الجرائد وأغلفة لمجلات متناثرة ومترامية بين أرجل الكراسي، وأعلى سطح المكتب، وعلى الكنبة، وبين قدميه، وعلى المنضدة المجاورة أخرى مطوية بجوار فنجان قهوة فارغ، وطفاية بلورية شفافة مكتظة بأعقاب السجائر وعلى حافتها نصف سيجار غليظ مشتعل، يهوي من فوهته زرات من الرماد ليستقر على كومة صغيرة أخرى وسط إضاءة خافتة في جو معبأ بالحزن والأسى.

من مكانه محاولاً أن يستجمع نفسه، يرمق هاتفه بنظرة من بين رموشه المبتلة بالدموع، فيحمله بيديه ويمرر رقمًا، إلا أنه يستدرك مسألة فيتراجع، فيهب من مكانه مهرولاً إلى جانب من المكان، يفتح الباب بسرعة، يدخل إلى الحمام، يفتح الماء يغترف منه بيدٍ واضعًا الأخرى خلف ظهره، وهو ينحني بكتفه قليلاً ليسدد دفعات منه باتجاه وجهه مرات، ويغلق الماء ويلتفت ويجذب من بكرة المناديل كمية يجفف منها وجهه ويده، يأخذ نفسًا طويلاً يحبسه بداخله هنيهة، ثم يطلقه ببطء ملقيًا بالمناديل مباشرة في سلة أسفل المرآة، ثم يخرج عائدًا إلى غرفة المكتب ويرفع التلفون ويتصل مباشرة بالرقم وينتظر الرد والذى يأتي سريعا فيخفض محسن جفنيه بتثاقل وتأثر بالغ كما لو أنه ما كان يود بأى حال أن يجري مثل هذا

الإتصال خاصة بمثل هذا الظرف! وبنبرة صوت واضحة يشوبها حزن ثقيل:

- مساء الخير ياسيادة المستشار.

يطرق منصتًا لمحدثه والكلمات كما وأنها تتصهر على شفتيه كلما هم بأن يرد أو يبادل الأخر جانب من الحديث، وفي تحفظ وود جاء بعد جهد منه فاترًا:

-الحمد يافندم، أشكرك معاليك.

وفجأة يغمض عينيه مطبقًا جفنيه على بعضهما، وذراعه ساكنًا إلى جانبه، فعلى ما يبدو ما يسمعه ثقيلاً على نفسه، ويرفع رأسه قليلاً ومن بين جفنيه المنكمشين إلى بعضهما تظهر قزحية عينيه من بين أهداب جفونه المغلقة كمن ينظر من ثقب إبرة! وبصوت متهدج متظاهرا بشيء من الثبات والقوة:

- تسمح لي بموعد؟

فيقاطعه على الفور الطرف الأخر، فيطرق مجددًا، ويومئ برأسه في امتنان..

محسن:

- جزيل الشكر لمعاليك.. شكرا يافندم، في تمام الموعد هكون عند حضرتك.

ينهي المكالمة يضع التلفون على سطح مكتبه ببطء، يظل واقفًا في مكانه، لايصدق أنه واقفًا على قدميه، يرفع رأسه للأعلى في أسف، وهو يتنهد بأسى وسط الفوضى الحاصلة في غرفة المكتب ذات الأثاث العتيق الفخم، تعكس ذوق رفيع وقد غلب على قطع الأثاث اللون البني الداكن، فيما يتوسط الحائط المجاور للمكتب الضخم إلى اليمين بروازا كبيرًا بإطار ذهبي لصورة رجل في الستين، عليه مهابة ووقار، يرتدي بدلة سوداء اللون، ورابطة عنق من اللونين الابيض والاسود بخطوط مائلة، يتوسطها دبوسًا ذهبيًا، تتوسطه فصوص حمراء قانية، لربما تعود لموضة زمن مضى، وعلى زاوية عُليا منه شريطًا سميكًا باللون الاسود، أما إلى اليمين فصورة لمحسن قريبة لملامحه التي عليها الآن، ولكنها تعود لبضع سنوات مضت ربما كانت عقب تخرجه وبدءه للعمل بمكتب والده، فهو شابًا بأوائل الثلاثين وسيمًا وجذابا بشرته بيضاء، وجهه بيضاوى بلا امتلاء، بذقن مسحوبة في دقة واعتدال، عيناه البنيتان صافيتان وعميقتان تشعان بريقا وقوة، حاجباه طويلان كثيفان، شعر رأسه يعلو أول جبهته في غزارة واضحة لطوله وفرط نعومته، يتهادى مع أول بادرة لحركة ملحوظة له، وأما الجانب الأخر يسارًا فيحمل ثلاث لوحة فنية كبيرة، تمتد على طول الكنبة المجاورة للمكتب وقبالته، فتقع المكتبة التي تضم عددًا كبيرًا من الكتب بأغلفة قاتمة اللون وسميكة، تحمل أغلبها اللونين البني القاتم والأزرق، وتبرز لمسة فنية واضحة على محتويات الغرفة الفسيحة وباقى أركان وجنبات المكتب، الذي يقع بناصية مبنى كبير بشارع الميرغني الشهير بحي مصر الجديدة، والذى أسسه والده المحامي المعروف أنذاك "محي الدين المنصورى" والذى لم يشأ محسن بأي حال أن يتخذ غيره بعد رحيل والده، فعلى الرغم من أن دراسة الحقوق كانت عن رغبة وحلم لدى

والده، إلا أنه أحرز في حياة والده نجاحًا ملحوظًا في المهنة، مما عده والده أهلا ليحل محله في مكتبه، وفي فضاء المهنة التي أفنى عمره ساعيًا لإثبات وجوده، يحرز الفوز ويتغلب على الصعاب التي تمثل بعضها في مجابهة الخصوم والمنافسين، كطبيعة أغلب المهن التي قد لاتخلو من مظاهر التربص والمنافسة الغير نزيهة بين أبنائها بعضهم البعض، وهذا ما تعايش معه محسن وأدركه جيدًا بأولى سنوات حياته العملية، وانغمس في أجوائه، إلا أن الأب قد عُرف بالجدية والحزم الأقرب إلى الصرامة، فيما يختلف عنه محسن، إلى أن دفع بعدد من زملائه إلى وصفه فيما بينهم بالنجم السينمائي الذي يجد نفسه مضطرًا إلى ارتداء الروب الأسود كبقية المحامين!

***

في المساء كانت باقات من الزهورالبيضاء وأخرى بنفسج متراصة إلى جانب من الردهة الفسيحة بمدخل الفيلا، يتوسط كلا منها كارت يحمل اسم المرسل، وقد غابت وخلت من أي رائحة لها؛ متأثرة غالبًا بالأجواء التي تلف المكان وسط صمت متقطع وحذر لا يخلو من صوت بكاء ونشيج، وأخر جاء عفويًا لزمة شفاه غير معلومة لمن وقد غطى الحزن وارتسمت علامات الصدمة على وجوه المعذيات، في حين يعلو ويهبط صدر واحدة منهم وهي تبكي مفطورة، وإلى ناحيتها تتوجه أنظار المعذيات واللاتي يمطرنها بنظرات الشفقة والتأثر البالغ، أما جمالها فقد أنذوى خلف حالة اللوعة وعدم التصديق التي تغرق فيها عايدة، والتى تغيب ثانية نظراتها في الفراغ، بعيون زابلة محتقنة ووجه شاحب يبدو وكأنه قد تجمد، يحمل علامات الصدمة والذهول! وشفتيها مطبقة تمامًا تميل للأمام قليلاً متجمدة

في مكانها، ويبدو مما يرتسم على الوجوه وتجمدت من فوقها الدموع ومن أجواء المكان والإرهاق البادي على الوجوه، أن الوقت قد امتد بالجميع لساعات متأخرة، وترمق أماني السيدة المتقدمة بالعمر التي تجلس بجوار عايدة بحنق.. مستاءة، ثم تشيح بوجهها تستنكر عنها، لتلتفت ناحية إحسان التي مازالت تجيء وتروح في المكان وتشير لأثنتين من الفتيات أن تقوم إحدهما بتقديم القهوة التي يتصاعد منها البخار والعبق، يغطي وجوه الفناجين طبقة سميكة فاتحة برغوة منتظمة تحيط بقطر كل فنجان، بيد لا أحد يرفع فنجانًا من مكانه على الصينية، حتى توقفت في مكانها في صمت، تترسم علامات الذهول والأسى على وجهها هي أيضًا، بينما السيدة التي كانت تنظر لها أماني بغضب شاردة بعيدًا، تتساقط الدموع من عينيها في صمت، فتنتبه وتمسح الدموع، وما أن تنتبه.. حتى تشرد من جديد مستقرة في مكانها تستند للخلف في كرسيها في أثناء ذلك تشرع إحدى السيدات المعزيات في الانصراف فتنتبه أخريات فيلحقن بها وتبدأ كل واحدة منهن في هدوء بمصافحة الجالسات في ود مع تأثر واضح ثم تتجه إلى الباب ولدى الباب يظهر "أشرف" رجلاً بمنتصف الثلاثين وجهًا سمحًا وباشًا، إلا أن علامات التأثر والتوتر باديان عليه، يرتدي بدلة رمادية ورابطة عنق سوداء، من مكان ينظر إلى الداخل باحثًا بعينه في قلق وترقب.

لم تلحظ "عايدة" زوجها الواقف لدى الباب، فتتجه "إحسان" التي توقعت سبب حضوره فتتجه ناحيته بخطى ثابتة مرحبة به، وهي تومئ بالتحية فيصافحها "أشرف" بود ويهمهم في أسى واضح معزيًا، فتغمض إحسان عينيها في تأثر وتبتعد قليلاً وهي تشير بيدها للداخل، متجهة مباشرة إلى عايدة فتميل عليها وتهمس بصوت خفيض تخبرها بمجيء زوجها، فتغمض

عايدة عينيها وهي مازالت ثابتة في مكانها لاتتحرك، وفجأة تجهش بالبكاء فتمسك إحسان يدها، وعلى الفور تتجه كل الأنظار باتجاه عايدة تتطلعها في أسى وشفقة، وتقوم أماني بدورها وتقترب من عايدة وهي تربت على كتفها، وتنهمر الدموع من عينيها وسط نحيب عايدة الذي يمتزج صوتها بالصراخ وهي تنادي في حسرة محيى.. محيى! وهنا يظهر أشرف مندفعًا باتجاه عايدة، فتبتعد أماني بدهشة، وتقترب إحسان في حين تراقب السيدة الجالسة بجوارها ما يحدث، ويميل عليها أشرف يربت على كتفيها بحنو، ثم يمد كفه لها وهو ينظر في عينيها بأسى وشفقة وتأثر بالغ، لما يظهر عليها من ذبول واضح ولوعة وصدمة كبيرة، فتقوم ببطء ناظرة إليه ثم إلى كل ما حولها بعيون مثقلة تقطر حزنًا ولوعة، وتقوم ويسيرا معًا تستند إليه باتجاه الباب تبكي مهمهة بصوت مبحوح:

- محيى.. محيى!

ويغيب صوتها في النحيب، فيطوقها زوجها بذراعيه، وما أن يمرا من الباب تتوقف إحسان قبالته بعد أن كانت تلحق بهما وعيونها تنهمر منهما الدموع، وتحتشد بهما الخواطر التي تتابع بالداخل منها فتبكي بصوت مختنق متهدج، وتمر بجوارها سيدتان من المعذيات تغادران المكان، فتلتفت عليهما إحسان بنصف انتباهة، وتدخل على الفور إلى الداخل بخطى ألية متثاقلة، والسيدة المتقدمة بالعمر تتلّفت حولها وقد أدّركت أن مجلس العزاء قد أنفض بالفعل، ولم يبقَ إلا هي وأمانى في حين تتردد واحدة من المعذيات في الانصراف وهي ترمق وجه أماني والسيدة بحيرة وترقب معًا! وتتجنب السيدة الالتفات ناحية أماني على الأرجح تؤثر السلامة، وهي تنظر بحيرة وأسى معًا وتطل بنظرها في الأرجاء، وما أن تظهر إحسان

قادمة فتشير لها في رجاء فتتجه ناحيتها إحسان مباشرة، دونما أن تنتبه أماني لشيء تجر قدميها وقد بدا الأرهاق عليها والتعب، وتتجه إلى الداخل.

إحسان تمد يدها لتصافحها في ود معزية، فتربت السيدة على يدها في حنو وتأثر وهي تهمس، فتتطلع في وجهها بشفقة ثم بحياد وتهز رأسها بالرفض والأسف معًا، فتسكت السيدة، فتميل عليها محاولة توضيح وجهة نظرها أمام الإلحاح البادي في نبرة السيدة

إحسان:

- يمكن أن تأتي غدا فهو الأن ...

وتبتلع ريقها في غصة وتضيف:

- أو إنتظريه.. ربما استطاع الحديث معكِ، ولو أني أرى أنه وكما تعلمين أيضًا كيف هي حالته من يوم الحادث وما تبعه يا مدام فايزة؟

فتحملق بها فايزة وتقاطعها باكية في أسى:

- أعرف، كان الله في عونه.. في عوننا جميعًا.

ولكنني أريد أن أطمئن على..

وتظهر أماني من جديد فتخفض فايزة من صوتها بحذر وهي تترد في نطق الاسم، بينما إحسان تومئ برأسها في تفهم وأسى، مستدركة لما يجري، بينما أماني تنظر عليهم بترقب وتخص فايزة بنظرة ذات معنى، فترتبك.. إلا أنها تصر على ما تريد، فتهمس لإحسان قائلة بإصرار:

- رجاءًا.. أبلغي محسن بأني أريد الحديث معه.

أماني وهي واقفة كما هي ترمق إحسان بنظرة استنكار تتجاهلها عن عمد، وتظل تتصت لفايزة التي بدورها تتحاشى النظر ناحية أماني بينما تستجمع شجاعتها وتقول في وضوح وإصرار:

- قولي له أن عمة كريمة تنتظرك بالداخل.

وتنساب الدموع من عينيها الذابلة المتوسلة، وما أن يتناهى اسم كريمة على مسامع أماني فتجحظ عينها وتجز على أسنانها، وعلى الفور تغادر المكان وقد اجتاحتها حالة من الغضب

إحسان:

- سأرسل إليه بمن يبلغه بطلبك، انتظرى قليلاً.

فتستقبل فايزة ردها بترحيب كمن نجا من الغرق! وتستدير إحسان متجهة إلى الباب وتطل برأسها إلى جانب بالخارج ناحية جانب بعيد بالحديقة.

فايزة تمسح بمنديل بيدها دموعها التي تنهمر متلاحقة تبلل كل وجهها، وهي تتلفت في أنحاء المكان بدت كمن يحاول تجاوز حالة قد سيطرت عليها، أمام نظرات عينيها التي تدور من حولها غير مصدقة لكل ما يجري، تتنقل ببصرها على أبواب الغرف والسلم الداخلى عن يمينها، واللوحات على الجدران، وأواني الزهور الموزعة في الزوايا، مستشعرة طيف يمر من حولها، فتغمض عينيها في وهنٍ، وتفتحتها على الباقات في مدخل الفيلا، وفناجين القهوة على الصينية الكبيرة، والكراسي المصفوفة

قبالة بعضهما، وما كان من حضور للمعذيين منذ قليل وأياديهم التي امتدت تصافح وهي تشد على الأيادي، يتلفظ أصحابها بعبارات التعزية، وتتجدد الدموع في عينيها فتطيء رأسها وتبكي في صمت، ويظهر المكان من حولها على كثرة اتساعه خاليًا فارغًا، يركض فيه الحزن واللوعة والألم... إحسان قادمة متجهة إلى السيدة الغارقة في أحزانها.

***

أماني شاردة غارقة في أفكارها تجلس على طرف سرير بالغرفة وسط إضاءة خافتة، تستفيق متنهدة تحاول إزاحة هم وأسى يجثم على صدرها، وعلى الفور في محاولة للتماسك ودفع مزيد من الأفكار على خاطرها، لتقف بجوار السرير وتنظر على الأخر المجاور له، تتأمل طفلتها ذات الثلاث أعوام التي تغط في نوم عميق، ترمقها بنظرات يمتزج فيها الجزع والخوف والحنان، وتنتقل بعينيها على وجه طفلتها الكبرى -بنت الخمسة أعوام- التي تتلقب في سريرها فيندفع الغطاء إلى ما بعد جذعها، فتتجه أماني بألية ناحيتها وتميل في هدوء وتجذب الغطاء إلى كتفيها وتنهمر الدموع على خديها، بينما تعتدل مبتعدة عن بناتها مستديرة، ترفع رأسها لأعلى في تضرع والدموع تتسكب حارة على خديها، فيعلو صدرها ويهبط وهي تبكي بصوت مكتوم، وتقوم بوضع كفها على فمها تكتم صوت بكائها المتحشرج، وهي تلتفت على الطفلتان خشية أن يستيقظوا على صوتها هي تغمرهم بنظرات الرجاء والامتنان وبعض الأسى، وتتنبه على وقع أقدام بأول الردهة من أمام الغرفة فتلتفت بضيق من مكانها إلى الباب!.

***

قطعت السيارة مسافة لم تكن بالقليلة من قبيلا محسن حيث مجلس العزاء بشارع السلام بحي مصر الجديدة، متجهة غربًا إلى ميدان روكسي في الطريق إلى بيتهم، أثناء كل ذلك كان يتجنب أشرف الالتفات ناحية عايدة، بعدما حاول مرة بعد أخرى أن يجعلها تهدأ ولو قليلاً ولكن بلا نتيجة، فلزم الصمت وهو بحالة من الشفقة والتأثر البالغ لحالتها، ولما حلّ بطفلها الصغير، بينما عايدة في حالة يرثى لها تبكي بلا توقف وقد غاب صوتها إلا من نهنهة متحشرجة مبحوحة، ووجهها مضطرب وقد تواري لونه بين ألوان الأضاءة التي تعكسها أعمدة الإنارة ومصابيح السيارات، مع أجواء الليل والظلام المحيط في الطريق.

أشرف ينظر عليها ويعاود من جديد محاولة التحدث إليها وهو يميل بكتفه ناحيتها، وعينيه على الطريق ثم يتراجع.. تميل برأسها إلى شباك السيارة والدموع تندفع من عينها تهمهم

بصوت واهن:

- ابنى.

تحمل حروف الكلمة زفرة وجع وغصة يقطر بداخلها، وعينيها غائمة مفتوحة على اللا شيء، كأن كل ما هو من أمامها قد طمس وتناثر، في حين يمتلئ الطريق بالسيارات والمارة والأصوات المتداخلة، وتنتبه لكل ذلك عنوة فتبكي من جديد في أسى ولوعة، في رفض لحضور كل هذا وغيابه هو فتضغط على شفتيها بلوعة وحسرة، وهي تعتصر عينيها منتحبة بصوت متحشرج، فيتنهد أشرف ويطمئن قليلاً أنها لم تفقد وعيها

فيلتفت عليها يجدها تعض شفتيها وهي تنطق باسم محيى، كأنها تقتلع كل حروف من عمق قلبها.

***

نسمات الخريف الباردة تسرى بأجواء المكان، وقد زحف الوقت ثقيلاً حتى أقصى ساعات من الليل ظلمة، في حين يقف إيهاب قبالة محسن يحيط بهما عدد كبير من المقاعد الخالية بعد انصراف المعزيّن، وعلى مقربة منهم إلى زاوية من الحديقة يقوم عدد من العاملين بفك أجزاء السُرادق موزعين أنفسهم، يعملون في سرعة ونظام أقرب إلى خلية نحل منظمة، فعدد منهم يقوم بفك أجزاء السُرادق مبتدئين بالقماش المكون من اللونين الابيض والاسود المكتوب عليه بخط بارز وكبير بعضًا من آيات الذكر الحكيم، وأطرافه مزخرفة بنقوش كبيرة وخطوط متعرجة ومتداخلة ومتشابكة بين أوراق شجر ورسوم هندسية، في حين تولى أخرين جمع ألواح الخشب جانبًا ويرفع الأكواب والفناجين بكل حرص في نظام وتلقائية.

يتفحص إيهاب وجه محسن في شفقة وتأثر وأسف، وكلما هم ببدء التحدث إليه يتراجع من جديد، وعينيه تمتلئ بالكلام والحيرة مترددًا، يحاول أن يرتب ويختار منه ما سيقوله لمحسن، يستشعر أن لا وقت لقول ما يريد خاصة وأن محسن لايرغب في الكلام، يتأمل بنظرات مثقلة بالحزن واللوعة كل ما حوله ساخطًا متألمًا رافضًا تصديق الحالة التي هو بها، وما جرى يتجنب استحضار اللحظة الأنيّة، فيغمض عينيه، ويهتز صدره، ويدفع تنهيدة ثقيلة، وما أن يفتح عينيه تظهر ممتلأة بالدموع، فيجد إيهاب واقفًا أمامه مباشرة، فيقول محسن في شيء من الجزع واستنكار:

- شايف اللى حصلي؟! شايف يا إيهاب؟

إيهاب:

- قلبي عندك يامحسن

- شد حيلك يامحسن.. شد حيلك.

فيتطلع محسن في وجهه بأسى وحسرة، فيربت إيهاب على كتفه متجاوزًا ما أراد أن يقول، ويعمد إلى دعمه بشتى الطرق وتقويته قائلاً في تأثر وشفقة:

- ولانقول إلا ما يرضي ربنا، ولاحول ولاقوة الا بالله.

محسن :

- أستغفرك ربي.

- العمر أمامك .. ستنجب واحدا واثنان وعشرة .

يقولها إيهاب وهو ينظر مباشرة لعينيّ محسن، ينتظر بارقة لشيء ما يشغله في إلحاح، أما محسن فهو يدرك ما يفكر فيه إيهاب ويقصده على وجه التحديد، فيبتلع ريقه بغصة في تفهم ويرد بصوت متهدج:

- قلبي ثقيل على صدري.. يؤلمني ، يرتج بشدة كأنه سيخرج من مكانه، ويتزحزح كأنه سيُقتلع، وثم ببطء أحسه يُعتّصر بداخلي،

لا أصدق ما جرى ولا أي شيء، كأني نائم وأرى كابوسًا، لاأصدق أي شيء.

- ما جرى وحدث أصعب من أن يصدق.

ويتوقف إيهاب ولايتكلم وهو يتراجع عما كان يود قوله، فيربت على يد محسن وهو يقول:

ادخل يامحسن لتستريح من النيابة للعزاء.

محسن:

- اتصلت بالأستاذ إبراهيم الكومي.

إيهاب بخيبة أمل ويندهش وبنبرة متعجبة:

- اتصلت به؟!

وهو يتراجع عن تكملة باقى الرد، ويقوم برفع حاجبيه فقط ولم يقولها فقد قالتها، عيناه ونبرة صوته، فيرد عليه محسن بدون أن يلتفت ناحيته:

- ليخبرني بما علىّ أن أقوم به ؟

إيهاب ينظر له دون أن يعقب، يتأمله بتعجب وحيرة معًا

محسن:

- لكي أعرف ما حدث، أريد أن أفهم.

ينصت له إيهاب ولايرد، أما محسن فيحاول أن ينقل له ما يحس به ويفكر فيه، وأمام صمته يلتفت له وهو يقول بأسى..

محسن:

- فمن غير الممكن أن تقتل كريمة ميمو أبدًا! أنا أعرف كريمة جيدا إنها..

فيقاطعه إيهاب بضيق، محاولاً رده إلى صوابه ساخطًا عليه:

- ولكنها قد قتلته!

محسن يتلقف ما قاله إيهاب بخشية وإضطراب وراح يتأمل وجهه وكأنه يريد أن يتأكد من شيء، بينما إيهاب ينظر له متظاهرًا بالإنصات له، تغمره الرأفة والتعاطف يحاول أن يتظاهر أنه هو الأخر غير مصدق، مراعاة لحالة محسن التي يجدها لا تحتمل أن يضع بشيء من الحقيقة بين يديه، في حين يطمئن هو لنظرات إيهاب، فيسترسل في حديثه من جديد:

- كريمة لا يمكن أن تفعل هذا، من الضرورى أن أعرف ماذا حدث حتى وإن كانت هي من فعلتها.

إيهاب يحدق به في ذهول وترقب كأنه أول مرة يعرف

محسن، وما إن تلتقي عينيه بعينيَّ محسن يخفض نظره متظاهرا أنه يفكر هو الأخر معه.

محسن:

- محي كان..

ويبتلع ريقه بغصة:

- محي..

ولا يستطيع أن يكمل فتفر دمعة من عينيه، يصادر على كل ما يود قوله لتنساب الدموع من

عينيّ محسن في صمت تام، فيتأمله إيهاب بشفقة وأسى ويربت على كتفه وهو يتأمل وجهه بأسى، ويترقرق الدمع الممزوج باللوم والأسى في عينئ إيهاب، ويتحشرج صوته وهو يحاول أن يتكلم فيصمت، ويسير محسن خطوات بمفرده يتبعه إيهاب بناظريه من مكانه، وهو يسير بأكتاف منحنية للأمام في انكسار.

***

في منتصف الردهة وبعدما استوقفتها أماني التي ترمقها بنظرة متوعدة محذرة، وهي في أوج غضبها مما حدا بإحسان أن تشرع في الدفاع عن نفسها، وبعد صمت وهي تحملق فيها باستنكار وضيق، ثم بنفاد صبر.

إحسان:

- ليس لدى أي فكرة عما تقولينه! كما وأننى أعامل الجميع بحفاوة وترحيب فهذا واجب تجاه كل من يدخل هذا البيت، أنا أعمل هنا منذ سنوات، أظن من وأنت طالبة بتعليمك الثانوى يا أستاذة أماني، وعن أسلوبي في التعامل مع الناس يهيأ لي أنكِ تعرفينه جيدًا، أما ما تقصدينه مع عمة مدام كريمة من معاملة، فهذا هو المعتاد والطبيعى أيضًا، علاوة على

أنه أسلوبي مع الكل والمألوف معها، فهي ليست غريبة عن هنا، وذلك منذ زواج أخيكِ بمدام كريمة، وحينما كانت تأتي على فترات متباعدة لتزور ابنة أخيها.

هنا تنصت أماني لها على مضض، ترمقها بنظرات لائمة مستنكرة، ولكن إحسان تواصل حديثها متجاهلة ما يظهر عليها، وهي تتفهم تمامًا موقفها هذا، ولكنها في قرارة نفسها ترفضه:

- أرفض ولن أتقبل تلك المعاملة منك لي، وتحدثي بصوت هادئ، فبناتك مازلن نائمات بالداخل.

وتشير بكفها ناحية غرفة نوم البنات فترتبك أماني وتكتم غيظها، ولكنها تهدئ من نبرة صوتها المحتدة مع إحسان:

أماني:- حاضر.. لم أقصد شيء، فأنا متعبة جدًا و..

فتقاطعها إحسان بنظرة حازمة وقد غلب الأسى نظرة عينيها والحزن باديًا علي وجهها وهيئتها، ترتعش شفتيها وبنظرة لائمة كأنما تقول ماتراجعت عن قوله، كلاما أنك لست وحدها المتعبة وعلينا أن نحتمل بعضنا البعض، فترتبك أماني وفي التماس

أماني:

- لو سمحتِ يامدام إحسان ممنوع أن يأتي أي أحد إلى هنا في غياب محسن.

إحسان متسائلة:

-حتى وإن كان لتقديم العزاء؟!

أماني:

- أيام العزاء انتهت اليوم، ولا أظن أن أحدًا سيأتي، وأنا كما وأنى لم أقصد الغرباء.

فتنظر لها إحسان بترقب متوقعة ما ستقوله، وأمانى هي الأخرى تعي ما ترمي إليه نظرات إحسان، والتى يستفزها فهمها لما تقصد ولا توافقها فيما تراه وتؤيدها فتقول بتحدي:

- عايدة والست عمة الهانم.

فتهز إحسان رأسها موافقة في انصياع واستسلام نزولا على مطلب أماني، ولانعدام أي رغبة في نقاشها في ذلك الأمر، ولما تستشعر من أن لا وقت لحديث أو غيره، كما أن حالتها لاتسمح بالدخول في جدال من أي نوع ولأى سبب، فتؤثر الصمت والرضوخ معًا بيد تتأملها أماني بترقب، وعلى شفتيها ابتسامة ود مترددة، وسط صمت إحسان التي تحدق في وجهها لبرهة، ثم تلتفت في هدوء وتمشى، وأماني تنظر عليها بارتباك، مستشعرة أنها كلفتها أكثر مما تحتمل، وأنها قد تحاملت عليها في الحديث، فتنظر عليها وهي تتقدم للأمام في الردهة المودية إلى الداخل بتأثر ولوم لنفسها، بينما إحسان تسير للأمام إلى وجهتها.

***

في ضوء خافت يقف أشرف بجوار عايدة التي تستغرق في نوم عميق وقد هدءت ملامح وجهها، واستردت بعض السكينة والهدوء بعد نوبة طويلة من التشنج والاحتقان، وقد توارى ما كان بها خلف النوم الذي أوقف نزيف الألم في نفسها وروحها، وأسكت صوت الأنين في قلبها، ويمد أشرف يده برفق ويقوم بثني ذراعها الممدود ويضعه إلى صدرها، ويمد إليه بالغطاء، وراح يراقب عيناها المغلقتان ووجهها الذي يطوقه الأسى، يود لو أنها تظل نائمة حتى يتبدل ما بها أن يغادرها أو يلعقه النسيان! بدا عليه من نظرته المتوسلة والابتسامة المترددة على شفتيه، كما لو أنه يمتن للنوم أن منحها الخلاص من هذه اليقظة المرهقة، وذلك الألم المتكلف، فكم للنوم من أيادٍ بيضاء يمد بها إلى المتألمون والمتعبون ورفقاء الوحدة، وفاقدي السكينة والأمان، يأخذ عنهم ما بهم.

يهيأ لي بل أنا على يقين تام بأننا في حال إذا بلغ بنا الألم حدًا فاق تحملنا ولم ننم، سنفقد عقولنا تمامًا أو أننا سنموت حتمًا، فقطع الصلة بالغياب عن الوعي بالنوم، أو بطريقةٍ أخرى هو أحيانًا من أشكال الحفاظ على الاستمرار أحياءً.

وفجأة تتبدل ملامح وجهه ويبدو عليه الضيق والقلق معًا يحاول إزاحة خاطرًا يحكم سيطرته عليه، فيرمق عايدة بنظرة يمتزج فيها الغضب والشفقة معًا، ويستدير ليغادر الغرفة، يمسك الباب ويغلقه خلفه في هدوء حذر.

مشى إلى الصالة يكابد سيلاً من الخواطر والأفكار التي تعترض لحظته مسببة له هذا التذمر المكتوم، والاختناق البادي على ملامحه ونظرات عينيه،هل دفعت الذاكرة إليه بيوم أن تعرف على عايدة، وكم تفاجأ بقوة

شخصيتها وثقتها المفرطة في نفسها، الأمر الذي جعله يتعلق بها في الوقت الذي كان يتعمد أن يظهر للجميع ولها أنه غير مبالٍ بها، يمازح الجميع ويتودد إليهم على عكس طبيعته في حضورها، فما كان منها إلا أنها استوقفته يومًا وقالت له:

- ألهذه الدرجة أنت مغرم بي؟

فارتبك بشدةٍ وظل ليومين صامتًا يتحاشى الجميع وسط ابتسامة لا تفارق وجه عايدة التي تعمدت أن تسمعه صوتها وهي تلقي التحية على الجميع بما فيهم هو، ويتخلل حديثهم إليهم ضحكتها المقتضبة في اتزان ورقة بالغة، وكلما اختلى بنفسه كرر طرح السؤال على نفسه: - لما أريد أن أتزوج تلك المرأة بالذات؟!

وصل أشرف بعد جهد إلى غرفة المعيشة يلتمس ما يلقي بنفسه عليه، ووجهه ممتقعًا تحاصره خواطر متناقضة ومشاعر ثقيلة، ويتوقف مكانه محاولاً إيقافها، وفجأة تتراقص ابتسامة على شفتيه وعينيه تلمعان بدمعة متنهدًا في أريحية ممزوجة بشيء من النشوة، لربما حط رحال خواطره الهائجة إلى ما تشكله المرأة النائمة بالداخل في فراشها بلاحول ولا قوة، روحها تحرس قلبها الذي سيتأنف الأنين ما أن تستعيد وعيها وتفتح عينيها.

أشرف بالرغم أنه كبر وابتعد عن سنوات عمره الأولى وصباه بمراحل، إلا أنه لم ينسَ!

أشرف من صغره يتمتع بصفات تدفع صاحبها إلى الرضى عن النفس، فهو شخصًا لطيفًا وهادئًا ومسالمًاً وطموحًا، وقد نجح في إن يصبح كما أراد مهندسًاً، وساعده خاله بمنصبه الكبير في شركة إنشاءات هندسية كبرى من

الالتحاق بها، مما هيأ له مع الوقت أن يتمتع بمستوى معيشي فوق الجيد، إلا أنه لم ينسَ الطفل الصغير المنكمش على نفسه في زاوية مظلمة بداخله، عاتب وناقم على أشياء وقعت وتجاوزتها السنين، إلا هو لم يتجاوزها!

فعايدة بالنسبة له ليست الزوجة فحسب، إنها الأم التي ود في صغره أن تكون له، فهو يلوم على ترتيبه بين إخوته الذي يرى أن هذا جعل منه حينها الطفل المهمل والمنسي وسط عدد من الأخوة، صوته غير مرغوب في سماعه، وشكواه مرفوضة، وحضوره لايختلف عن غيابه كثيرًا! بها صار الابن الأكبر والصغير المدلل، لكم يهزه أن يراها في موضع ضعف فهي حزينة متألمة، وما الحزن إلا بوابة كل ضعف... هو الأخر يزحف إليه الحزن فبعدما لمعت دمعة الغبطة ظهرت دموع أخرى تدحرجت على خديه لكأن حزنها الجارف يصب في قلبه، ينظر بحيرة وأسى لايدري كيف يزيح عنها ما بها، إن هما ثقيلاً ينتظر بجوارها ما أن تفيق.

وهو يقبض على زواية الكرسي ويبتلع غصة بحلقه مستشعرًا قلة الحيلة فيما يجري، عينيه مليئة بالشفقة والتوتر... كسرة الأقوياء كالصدع في جدار قلعة شامخة، أن يهزم ضعيف فهو المتوقع، أما القوى فالمسألة مختلفة.. إنها موجعة فأوقات الضعف عند من نستمد منهم القوة ونستنهض بهم عزائمنا يصيبنا بالخوف والألم ويتركنا نتخبط في فوضى لاتنتهي.

ويجلس أشرف على أقرب كرسى قابله في الصالة وسط إضاءة برتقالية خافتة في صمت، يغرق فيه المكان من حوله وظهره لغرفة النوم، لاتهدأ خواطره ولا أفكاره وكأنما تجمعت كلها في تلك الليلة الطويلة، ويسترعي أشرف ثمة ما قفز في صدره فجأة، فيجعد جبهته وينظر بغضب ويذمم شفتيه في ارتياب وهو يغمغم في نفسه:

- ملأني شعورًا هائلاً بالغيرة عليكِ بذهابك إلى هناك.. بيته! وأنه سيراكِ وأنه قد يحاول أن يحدثك، ويمكن أن يسترجع هو أي شيء كان بينكما! ولكن توارى هذا كله وهدأت غيرتي فأنا على يقين من أنك من رفضتيه وذهبتى، فما من امراة ترغب في رجل وتتركه بإرادتها كما فعلتي.

ويستدير بكتفه ناحية الغرفة ويقول برجاء والدمع يترقرق في عينيه:

- متى ستتجاوزين هذا الظرف وتلك الحالة؟ كيف أزيح كل هذا عنك؟!

ويترقرق الدمع في عينيه، فيسند رأسه بكفه وهو يرخي ذراعه على يد الكرسي

أشرف:

- وقلبك كيف أمسح عنه كل هذ ؟!

***

صباح اليوم التالي بدا المكان تحت سطوة النهار متذمرًا عابسًا كأنما يستقبل ضيفًا غير مرحبُ به، نوافذ الفيلا المطلة على الحديقة مؤصدة كأنها لم تفتح من زمن! المكان يبدو وكأنه متحف متروك مهمل ومهجور، حتى أن الأشجار والزهور بدت جامدة متشنجة في أماكنها، وأثار لأقدام عدة على العشب بأرض الحديقة، وبجوار الممشى مباشرة ومن فوقه، وبعضًا من خيوط غليظة ممزقة ملقاة على الأرض، وبعض المناديل الورقية وعدد ليس بقليل من بقايا السجائر، أما بوابة الحديقة فموارية ويظهر شخصًا قادمًا من جانب بالداخل يحمل في يده دلوا وفي الأخرى

مكنسة بيد طويلة، وآخر يظهر من الجهة المقابلة يرتدي هو الأخر زي عمال النظافة ويشرع في بدء العمل.

***

يزحف ضوء الشمس على عتمة المكان ناثرًا النور على استحياء في كافة الأرجاء، فيما تقوم السجينات داخل الزنزانة بعد إعادة ترتيب أسرتهم في اعتيادية، وذلك بعدما قمن بالروتين اليومى داخل السجن، ليعودن إلى أماكنهم قبل أن يتم توزيعهن مع اقتراب منتصف اليوم للقيام بالأعمال والأنشطة المختلفة وفق قوائم بأسماء السجينات، قد عدت عقب الدخول، وذلك وفق نظام دقيق وقواعد ثابتة وفق ما قد أقره قانون السجون ، أخذا مساره إلى التطبيق في حياد تام وملزم، وإلا تعرضن للمسائلة والعقوبة، وفي الوقت الذي تتبادل اثنتان الحديث الودي همسًا بجانب أسرتهم تقترب أخرى تجر قدميها في فتور تقصد جانب وتميل إلى سريرها بالطابق الأول، وتجلس على طرفيه في هدوء ثم تدفع جذعها للداخل وتستند في مكانها إلى مقدمته، مرتدية الأبيض مثل كل السجينات، يغطي شعرها البنى الناعم طرحة من الشاش الأبيض، بشرتها بيضاء صافية، وجنتيها عاليتين ممتلئتين أوسطهما تجويف خفيف، تبدو بوجه فرعوني عظامه محددة ومنبسطة، وشفتيها ممتلئة بخط بارز ولامع، قوامها معتدلاً بقامة طويلة، عيونها البنية مرهقة ومنتفخة على إثر البكاء المتواصل، يعلو ملامحها رغم جمالها الواضح همًا ثقيلاً، قدميها مرتخيتان إلى جانب السرير، بينما يديها متشابكتان على رجلها، تتحاشى النظر حولها تغيب في أفكارها تطل من عينيها خواطر متضاربة، يمقتع وجهها وتتسع حدقة عينيها وكأنما صراع يدور بداخل رأسها، ترفع كفها وتضعه منتصف وجهها وكأنها

تمسحه، بينما تطفر الدموع من عينيها ويحتقن وجهها، بينما عيون تتفحصنها من الزاوية المقابلة لها من قبل سجنتتان يراقبانها من مكانيهما، وتهمهمان في دهشة وترقب كعادة كل من في الزنزانة من يوم دخولهم إليها، كما أنهم أيضًا اعتادن هذا منها الصمت الطويل والبكاء المتقطع، إلا من التواصل معهم بكلام قليل تستبدله أحيانًا بابتسامة مقتضبة وإيماءة ودودة، تقيم في عزلة داخل تلك العزلة الأكبر متقوقعة داخل جدران نفسها، مع انتهائهن مما يعملن، ويستعيد المكان حالة من التنسيق والتنظيم، تهدأ حميتهن المصاحبة في أداء مهامهم كصفة صارت مكتسبة لدى غالبيتهن، فتبدأ تعلو أصوات الهمهمات من جانب وبآخر ضحكات متقطعة من حولها لفتيات وسيدات تتراوح أعمارهن بين العشرين إلى أول الستين، وعلى الرغم ما يدفعن به عن أنفسهن من أحاديث هامسة وأحيانًا صاخبة، وتندر وتبادل الضحكات الرقيعة أحيانًا، إلا أنهن ما إن يصمتن للحظات تذبل وجوههن وتطل عيونهم بنظرات مثقلة بالهم والضجر، تجمعهم حالة من الضياع والخوف والقلق، وبالبقاء معًا لوقت تتقلص تلك المشاعر، وتتفكك مع الأيام لتنشأ حالة ترسم أبعادها وتفرضها حسب أمد الوقت، تشبه الألفة التي تنشأ بين نزلاء غرفة واحدة بمستشفى أو داخل سيارة أجرة لمسافة ما، أو في طابور بهيئة حكومية ويمتد لوقت بتلك الأجواء، والتي يتخلق منها ما لايتوقعه البشر أنفسهم من مشاعر متناقضة بعضها جيد والآخر على النقيض، فالمكان متحدًا مع الزمان يشكلان قوة قاهرة، وسطوة على الإنسان فما من واحدة كانت حاضرة، يبدونَّ كأجساد تنوب عن أصحابها، ما أقسى أن يقتلع إنسان من حضن الحياة ويلقى بزواية بعيدة منها.

صوت أقدام تتقدم من الزنزانة، وتطل عواطف مساعدة المشرفة على العنبر تنادي بصوت رنان أقر إلى الصراخ، امرأة في منتصف الثلاثين

ولكن هيئتها تشير إلى غير هذا، متوسطة الطول تميل إلى البدانة، ترتدى زيها المكون من جاكيت أزرق فضفاض سميك وجيب مجسمة بنفس اللون، تجمع شعرها خلف إيشارب أبيض ينسدل خصلات من شعرها على جانبيه، وتضع الكاب الميرى مائلاً إلى جبهتها قليلاً، كأنها تكمل هيئة تحب أن تطل بها على السجينات اللائى يرتعدن منها لقسوتها المعهودة وفظاظتها المجربة معهم، إلا أنها تبدو ودودة في حالات قليلة،وذلك حسبما تغدق به بعض السجينات عليها من طعام ونقود وهدايا مجلوبة من زويهم، هنا تتبدل معاملتها وتصير إنسانية أو أن يكون قد أوملى عليها تنبيها من نبطشية العنبر، أو من مباحث السجن شخصيا

المشرفة "عواطف":

- كريمة.. كريمة أحمد، يالا تعالي بسرعة.

كريمة من مكانها بصوت غير واضح متأثرًا بمرورها بوقت بدون كلام

عواطف:

- ها.. شهلي الريسة واقفالك.

كل السجينات يحدقن في كريمة مشدوهين في ترقب وفضول ، وينكمشن على أنفسهن وهن يبصرن اليد السمنية التي تلوح من خلف فتحة ممتدة ومستطيلة بعرض الباب، تتخللها قضبان طولية رفيعة وخلفها عواطف تستعجل كريمة التي تقوم من مكانها في هدوء، متجهة في اعتيادية إلى الباب ولكن عواطف لاتمهلها فتنادي مرة أخرى بنبرة صوت مستنكرة

عواطف:

- كريمة؟!.

كريمة:

- أفندم؟

عواطف بإمتعاض:

- تعالي.

وتفتح عواطف الباب قدر ما يسمح بمرور كريمة منه، وتعاود غلقه بقوة ثانية وهي ترمق السجينات بنظرة متأففة، وتسير بجوارها كريمة وتخرجها من الباب الرئيسى للعنبر، وعنده تتوقف سميحة السجانة على عنبر "١١" ترتدى زيها الميري الكاكي ,وتضع إيشاربا بنفس اللون يخفي كل شعرها من تحت الكاب، ملامحها جادة ووجهها سمح وعيونها تبعث على الطمأنينة، وشفتيها مطبقة ترتسم عليهما ابتسامة محايدة ترمق كريمة بنظرات شفقة وحيرة معًا، ما أن تتلاقى عيونهم تتأثر كريمة وترتبك، وتتقدم عواطف وبجوارها كريمة..

عواطف:

- كريمة أحمد يا ست الريسة.

سميحة:

- طيب ياعواطف.

وهي تنظر لكريمة:

- تعالي..

وتهرول عواطف إلى الجهة الأخرى في دأب بخطى ثابتة، وتسير كريمة بجوار السجانة بضع خطوات، ثم تلتفت ناحيتها وهما تواصلان السير.. متسائلة سميحة:

- كريمة أحمد جلال؟

كريمة بصوت تائه مبحوح:

- أفندم؟

سميحة:

- زيارة، وسيادة المأمور قالي أبلغك إن رفض الزيارات مش في صالحك.

وبنبرة ناصحة في حنو:

- قابلي المحامي حتى؟!

وتسيران في صمت حتى تتوقف بها السجانة أمام غرفة مكتب المأمور... سميحة تقدم التحية فى تلقائية ملزمة ومعتادة للمأمور والذي يومئ برأسه ردًا عليها، وهو ينظر مباشرة في حزم وجدية إلى كريمة من مكانه خلف مكتبه بهيئته المهيبة:

-بترفضي الزيارات ليه؟

ومحدقًا راجع سطور دفتر صغير مقارنة بباقي الدفاتر، والذى تدون فيه الملاحظات المتجددة يوميًا بخصوص السجينات، وشكوى البعض، بخلاف الأخرى كبيرة الحجم والتى تتعلق بمهام لمسائل أخرى ضمن طبيعة عمله في السجن، فيأتي على اسمها المحدد بدائرة من قبله على مايبدو وعلى الفور يناديها:

- يا كريمة؟

كريمة:

- يافندم أأ.. أقابل من؟

المأمور:

- من يأتون لزيارتك من أهلك!

كريمة:

- والدي ووالدتي متوفين وليس لدي من إخوة

بتأثر ولايحيد عن نبرة الجدية

المأمور:

- عمتك.. زوجك!

وقبل أن تهم كريمة بالرد يتحشرج صوتها وتصمت والأسى يرتسم على وجهها.. المأمور بتفهم وهو يتفحص وجهها ويراجع الأوراق أمامه:

- المحامي محسن محيي الدين المنصوري، زوجك أليس كذلك ياكريمة؟

كريمة غاب صوتها وتتلعثم، لمأمور ينظر لكريمة بترقب بينما يتماوج على وجه كريمة التوتر والاضطراب، وبصوت مختنق ترد وهي تنظر للمأمور:

- بلى، زوجي يافندم.

فيتنبه المأمور لكونها تتخطى الرد بكلمة زوجي مكتفية بإلايجاب، فيذم شفتيه في حيرة وينظر ثانية في الأوراق أمامه وهو يحدث كريمة:

- لأنه طرف في قضيتك تم رفض طلبه في الدفاع عنك، قانونًا لايصح ولا يقبل، ولكنه قدم إلى هنا ومعه محامى لكِ يترافع عنكِ.

- لا أريد.

- إذن ستتولى إدارة السجن اختيار وتعيين محامي ليحضر معك جلسات المحاكمة للترافع عنك.

- ما الداعي يافندم؟ فأنا معترفة.

فأنا معترفة! يستاء من ردها قائلا بحدة

- إنه القانون وعليه جاء هذا الإجراء المعمل به ويطبق هنا وفي كل قطاعات السجون فيما يخص تلك الظروف، وفي حالتك إن كنت لاتدركين

ما قد يحدث، فإن وجود محامي معك يمكن أن يتم يتحول الحكم عليك من الإعدام إلى المؤبد مثلا، أم أنك تريدين أن تعدمي؟!

فتنتفض كريمة في مكانها وتحملق في وجه المأمور ومنه إلى الفراغ وتمتلئ عينيها بالمشاعر المختلطة، فيتحاشى المأمور النظر إليها وقد غالبه شيء من الشفقة، ويقول بنبرة جادة آمرة:

- هناك عدد من الصحفيين قد توجهوا إلى هنا، وعلى مدار الشهر والنصف شهر منذ أن تم ترحيلك إلى هنا يرغبون في عمل أحاديث صحفية معكِ، ونحن رفضنا لمرات نظرًا للحالة الصحية التي كنت تمرين بها، فتطرق كريمة لما قال وعلى الفور تقول:

- صحافة؟!

سميحة في حزم ما أن لمست صمت المأمور وعدم رده على كريمة منشغلاً بالنظر في أوراق أمامه... سميحة تلتفت ناحيتها ناظرة مباشرة في عيني كريمة، وتومىء بالإيجاب في تأكيد

كريمة:

- موافقة يافندم.

بدهشة وتبرم وقد فسرها بأنه ربما هو عدم إدراك كريمة لحجم ما هي متورطة به

المأمور:

- طيب.. إن قدم من جديد أحدهم سنبلغك.

ويشير لسميحة أن تأخذها، ويعاود استئناف عمله ويخرج ملف من درج مكتبه الكبير ويسترعاه ما قالت كريمة قبل أن تذهب فينظر حيث خرجت باستياء.

وتسير كريمة بصحبة سميحة وقد انفرجت أسارير وجهها على نحو جعل سميحة تتفصحها بتعجب واستغراب طوال سيرهم جنبًا إلى جنب في الممرات المتعرجة بالمبنى، وصولاً إلى أول العنبر، لتجد عواطف تتحدث مع أخرى قبالة الزنزانة، وما أن تنتبه إليهم فتقوم على الفور بفتحها بواسطة مفتاح من بين ثلاثة مفاتيح لا غير، في سلسلة بحلقة كبيرة تضعها حول سبابتها، تفتح وتدخل كريمة وتغلق خلفها وهي تتأملها بسخرية وحنق معًا وهي توصد الباب، وهي تلعق شفتها العليا بطرف لسانها في نشوة غريبة.

***

العاشرة صباحًا وسط حالة من الاستنفار معتادة داخل أروقة القسم في جريدة الميزان ، فما إن يتأهب رئيس القسم لاختيار المحررين المكلفين بالقيام بإنجاز برنامج وخطة العدد الجديد، فيرتبك المحررين ويتسابق كلا منهم لإظهار وإبداء الهمة والجدية والحرفية، ليقبل الأستاذ رأفت ويسند إلى من يختارهم مهمة تجهيز مواد العدد الجديد.

وبداخل مكتب رئيس قسم الحوادث فيما أقرب للتجمهر، يقف عدد من المحررين شباب وبنات في انتظاره في حالة ترقب وارتباك، وبعد دقائق من وقوفهم في انتظاره يأتي صوت متشنج بأول الممر المؤدى للمكتب،

فيلتفتوا إلى مصدر الصوت وينظروا بابتسامة ذات مغزى لبعضهم البعض، ويحبسوا أنفاسهم ويظهر رأفت، رجلاً في الخمسين من عمره قامة طويلة وقوام نحيف، وملامح وجه جادة وصارمة، له شارب خفيف وقصير وعينيه واسعتين معرقة على إثر السهر والإجهاد، يتأملهم بنظرة ثاقبة ويتقدم ليقف قبالتهم:

- صباح الخير.

صوت جماعي للمحررين:

- صباح النور يافندم.

صوت جماعي والشباب والبنات على السواء متأهبين لاستقبال وتلقي تعليمات رئيس القسم، وتظهر من بين الحاضرين "صافيناز على شعبان" والتى يختصر زملائها اسمها وينادونها بصافي، حتى باتت تعرف بينهم بصافي وهي المحررة الملتحقة منذ فترة قريبة بالجريدة، وهي فتاة في الثالثة والعشرين، بيضاء متوسطة الطول، قوامها أقرب إلى النحافة ذات وجه مستدير، وعيون واسعة صافية، بها التماعة لبريق تعكس ذكاء ونباهة وشعر أسود مجدول في ضفيرة مسدلة على كتفها للأمام، وخصلة من شعرها تميل على جانب من وجهها، ترتدى بلوزة فضفاضة بلون البرقوق وبنطلون بلون التلج، وتعلق في كتفها حقيبة مربعة الشكل ومزخرفة، وبيدها بعض الأوراق، منكمشة على نفسها تنظر بترقب وحذر لوجه رأفت، والتى تشب من خلف أكتاف زملائها الشباب لتتمكن من رؤيته بلا حرص أكيد، ولكنها تتمكن أخيرًا من خلال قامتها المتوسطة،

مقارنة بقامة من تقف خلفهم إلى أن تبصر شاربه الذي يتحرك مع كل كلمة تخرج من فمه.

رأفت:

-العدد الجديد ضروري جدًا يكون مميز، والموضوعات ساخنة، التوزيع كان منخفض العدد الماضى وعدد النسخ المباعة مخيب، اشتغلوا أفضل، فتشتوا عن الأخبار والموضوعات التي سترقى للنشر وتجذب القارئ، ابذلوا جهد حقيقي، نستعمل عقولنا.. الكسل الاستسهال النقل ممنوع ولا داعى بأن أظل أكرر هذا.. تعبت الحقيقة! مفهوم؟!

كلكم.. أريد شغل جري نبش في كل جهة كل مكان ستجدوا ما قد يستحق أن يكتب عنه، لاتنقلوا ولاتستسهلوا.. يجب أن نظل أول من يتجه القراء لمعرفة كل جديد لدينا، جهزوا موضوعات.. احصلوا على الأخبار.. كلا منكم يجهز مادته.

ويراقب الوجوه التي تنظر له مشدوهة في تركيز واهتمام، وتصدر همهمات من بعضهم البعض فيما بينهم، فيبادر رأفت في تفهم وهو يتفحص الوجوه واحد بعد الأخر:

- أي إستفسار؟ سؤال ؟ طلب إيضاح؟!

فيرد أحد المحررين:

- كله واضح يافندم.

فينصت برهة ريثما يقول أحدهم شيئا أخر.

رأفت:

-طيب.. اتفضلوا جهزوا شغلكم وبناءً على التقارير المقدمة سيتم اختيار الموضوعات، تمام؟ وأريد محرر كفء ليقوم بمهمة إلى سجن النسا في القناطر.. تحقيق مهم؟

فترتسم الابتسامة على الوجوه، ويأمل كلا منهم أن يتم اختياره، فيتطلع في وجوههم منتظرًا، ربما أن يرشح أحدهم نفسه قبل أن يختاره، ولما لا يتقدم أحدا فيقول في نبرة تشجيع، فيجلس إلى مكتبه وهو يتنقل ببصره بينهم، في حين يصطف بعضًا من المحررين بمحازاة المكتب، ومن خلفهم الباقين بحيث يكونوا قبالة رأفت وظاهرين له حتى يتسنى له الاختيار

رأفت:

-من منكم يمكنه القيام بتلك المهمة؟

وعلى الفور تتقدم صافيناز من بين زملائها وهي تدفعهم في لطف وترشح نفسها قائلة:

- أنا يا أستاذ رأفت.

فيتحول وجه رأفت إلى الجهة الأخرى متجاهلاً إياها ولايرد، بعدما حدق فيها لبرهة بحنق وسخط، فيبتسم زملائها وتبتسم هي الأخرى، وينتقل ببصره إلى غيرها ليختار من بينهم بنفسه، ويتقدم زميل لها ويظهر نفسه من بين زملائه وهو يمد برأسه قليلاً، فيفسح له من يقف أمامه ليراه رأفت،

ومن بين المحررين في الصف الأول إلى آخره يقف حسام المحرر الشاب الذي يتجنب الالتفات خلفه خشية لفت الاتباه إليه بينما صافي تنظر وعينها تلمع من حين لأخر ثم تستدرك الموقف فتقاوم نظراته ناحيته وتنظر ناحية رأفت وهي تميل برأسها من جانب أكتاف زملائها الواقفين أمامها

حسام:

- أنا أقوم بها يافندم

فيتفحصه رأفت، ويعادود النظر لوجه صافي فيجدها قد توارت خلف زملائها ثانية، فيقول في تفهم:

-أنت كفء ياحسام وأهل لها، ولكن للأسف أرى أن هذه المهمة يلزمها وتحتاج إلى بنت،

لأن اللقاء سيكون مع امراة قامت بقتل طفل ، فينفجر المحررين بالضحك إلا حسام الذي يدرك بمن يقصد رأفت، فيخفض رأسه مشفقًا.. في حين تتحول عيون الباقون مباشرة إلى صافيناز

التي تتابع من مكانها بعين مفتوحة، تنصت بترقب وتركيز إلى رأفت، والذى يقول في حزم:

- قلت هذا العدد مهم جدا بالنسبة إلى.

فتخفض جفنيها وترفع حاجبيها متفاجئة، ولكنها لم تفرح، بل بدا عليها الارتباك والتوتر مستشعرة حجم المسؤلية، وفي بنبرة استهجان وهو يحدق في وجه صفيناز:

- يكون اللقاء مثل سابقه، أم لديك الدافع في إتمام المهمة بنجاح وإجراء الحوار كما يجب؟

بعد مرورساعتين من الاجتماع الذي عقده رأفت بهم، اتجه كل المحررين إلى مكاتبهم، ينخرط كل في عمله أمام شاشات الكومبيوتر، في حين تطل صفيناز بين الفينة والأخرى على حسام الذي يحدق في شاشة الكومبيوتر، جالسًا قبالتها إلى الأمام قليلا، فتتحين هي أن يلتفت، إلا أنه مازال في وضعيته لايتحرك، وكأنه قد تجمد في مكانه! فيتتنهد صفيناز بخيبة وتوتر وتميل إلى أوراقها تدون ثمة شيء، بينما حسام يلتفت مباشرة على مكان جلوس صافيناز، والذى يجدها منكفة على مكتبها تكتب، فيتأملها بلوم وتوتر أيضًا، وقبل أن يستدير برقبته كانت صافيناز رفعت رأسها ونظرت بعينيها ناحيته فتلاقت عيونهم ببعضها فتهلل وانبسط وجهها، وأفصحت شفتيها عن ابتسامة واثقة، وعيونها تتقلب كلمات في لمعتهما، تود لو تنطق بها له، فيبتسم هو الأخر لها وهو يهز رأسه كأنما يزيل ثمة خلاف، فلما تستشعر ذلك فتشبك كفيها ببعضهما وهي تضم كفتيها إليها في غبطة، وتبتسم ابتسامة ممتدة كبيرة تكشف عن أسنانها المصفوفة في تناسق بين شفتين ورديتين يانعتين، وهي التي بدت من دقائق معدودة كشجرة يابسة يلفحها الهواء الساخن بقلب نهار الصيف، وعاود كلا منهما مواصلة عمله والابتسامة تضيء وجه كلا منهما يتردد في المكان أصوات طرق الأصابع على مفاتيح لوحات التحكم بأجهزة الكومبيوتر.

***

تجلس عايدة قبالة أشرف يتناولان طعام الغداء، عليها ثياب بيتية بسيطة ورقيقة كاشفة عن جسد يمتلئ بالشباب والأنوثة، شعرها البنى الناعم لامعًا

يتهدل حول رقبتها البيضاء الممتلئة وبعضه يفر منسدلاً من مشبك الشعر المستقر بطرف أكبر الخصلات.

يتابعها أشرف وهو يأكل بينما هي تبتلع الطعام في بطء بلا شهية، وتستشعر نظراته نحوها فتواصل تناول الطعام وهي تتبسم، فيطمئن ويبتسم هو الأخر بعد عدة محاولات لدفعها لتناول الطعام والأإقبال عليه، فتتصاع لرغبته إلا أن حديث لم يكتمل، تتحين عايدة فتحه من جديد فترجئه حتى ينتهيا من تناول طعامهما، وعلى الفور تلحق بأشرف الذي قام متجها إلى الداخل ويأتي صوته من الداخل:

- تشربي إيه ياعايدة؟

عايدة: ينسون ياحبيبي.

صوت أشرف رقراقا دافئًا:

- من عينيا.

عايدة تنظر على أشرف وهي تتحين فتح حديث قد أرجأته، فترفع صحنين وتتجه ناحية المطبخ وهي ترتب أفكارها؛ فتجد أشرف قبالتها وكأنما قرأ ما تمتلئ به عينيها، ويرتسم على ملامح وجهها، فيقول مبادرًا في جدية ولطف:

- سأذهب أنا إن أردتِ. لا أنت رجاءً ياعايدة.

فتبطئ من خطواتها قائلة:

- لن أتأخر، سأجلب متعلقات وأشياء وملابس محيي وأعود على الفور.

فيقاطعها أشرف:

- أنا من سيأتي لك بها

تتطلع عايدة له في صمت.

فيعقب قائلاً:

- متعلقات ميمو ستكون عندك.

فتلمع الدموع بعينيها وفي هدوء تتجه ناحية المطبخ بالأطباق.

***

يندفع محسن داخلاً غرفة المكتب، يبدو مرهَقًا يتحرر بإحدى يديه من رابطة العنق قليلاً وبالأخرى يمسك هاتفه وهو يتنصت لاهثًا، فيدفع بمقدمة قدمه الباب خلفه، ويضع حقيبته الجلدية على منضدة في جانب محسن منصتًا في تأثر مستشعرًا الخيبة، وبصوت متهدج:

-أشكرك يافندم، لا لا.. أبدًا، شكرًا لمعاليكم.

ويومئ محييا وهو يهز رأسه:

- مع السلامة.

يضع الهاتف على سطح المكتب وهو ينظر أمامه بأسى ويعض على شفتيه بغيظ وحنق، وهو يغمغم:

- لماذا ياكريمة؟! لما ترفضين مقابلتي؟!

أريد أن أعرف ياكريمة ؟! أليس من حقي معرفة ما حدث وكيف جرى؟!

ويندفع خارجًا من غرفة المكتب عابرًا المكان، لا يعبأ للحاضرين الذين تتعلق أعينهم به محدقين، وتحاول السكرتيرة أن تستوقفه إلا أنه يندفع خارجًا من الباب يستقل المصعد الكهربائي وما أن يصل به إلى الدور الأول، يخرج من باب المبنى متجهًا إلى سيارته المتوقفة على جانب من المبنى، يحرك المفتاح فى مقبض الباب ويسحبه ويدفع بنفسه بداخلها وينطلق في الطريق وهو يزدرد من ريقه، عينيه تراقب الطريق في انتباه ويقظة وسط إندفاع الخواطر والأفكار في رأسه، يطل القلق والتوتر من عينيه يقبض على مقبض السيارة كأنه مقود طائرة يود لو يصل إلى وجهته قبل خروج شهقته الثقيلة هذه إلى الهواء!

***

السابعة مساءاً وقبل أن تعلنها الساعة تأتي طرقة على الباب، وعلى الفور يقوم في هدوء من مكانه مبتعدًا عن مكتبه بضع خطوات، ناظرًا ناحية الباب مباشرة بنظرة مشفقة ومترقبة تحيًّنا للقاء محسن الذي يدرك ما يمر به من ظروف قاسية، ولما كان يربطه بأبيه من علاقة صداقة وطيدة، فإبراهيم الكومي أحد أهم المحامين المرموقين والمشهورين بجدارتهم وعلو مكانتهم، كما يتمتع بكاريزما واضحة ووقار جلي لم يتواريان رغم اقترابه من عقده السادس، وما أن يظهر محسن في مكانه من خلف مكتبه ويستقبله بحفاوة وهو يشد على يديه بود، ويقوم باحتضانه ويربت على ظهره بحرارة في محبة، ويستبدل مكانه بالجلوس أمامه فيرتبك محسن من

كم الحفاوة التي خصه بها المستشار ابراهيم الكومي، وفي صدر المكتب تبرز صورة كبيرة له وهو يترافع أمام هيئة القضاة بالمحكمة، مرتديًا روب المحاماة الاسود وهو في منتصف عمره، وبجوارها إلى الزواية سارية متوسطة الارتفاع تحمل العلم بألوانه الثلاث يتوسط نسر ذهبي اللون على قماش لامع، يعد ابراهيم من كبار وأشهر المحامين على الساحة، ورغم أنه لايتولى المرافعة في القضايا من سنوات إلا أنه لمكانة محسن بن صديقه يقبل بعد تردد وبناءً على طلب من محسن في أن يتولى المرافعة عن زوجته، مشترطًا عليه أن يطلع على كافة التفاصيل وتحقيقات النيابة، ثم يقرر إن كان سيقبل أو أنه سيعتذر فيقبل محسن من جهته.

يجلس محسن قبالة المستشار ابراهيم الكومي الذي يعامله بحنو بالغ متفحصًا وجهه في جدية وهو يخفي تأثر عميق.

ويطرق مدير المكتب الباب طرقة واحدة متقدمًا وبين يديه صينية عليها فنجانين من القهوة، وكوبين من الماء، يضع الصينية على الطالولة بينهم ويخرج في اعتيادية واضحة.

ابراهيم وهو يحاول بدء الحديث من جهته مترددًا في تقديم التعزية من جديد لمحسن، فيقولها ويدلف في تفاصيل القضية سريعًا:

- أنا في غاية الأسى والأسف لما ألم بك وما تمر به، خالص عزائي ياولدي.

محسن يهز رأسه بثقل واضح وهو يتمتم بكلمات غير مسموعة فيربت إبراهيم على ذراعه وبكف يده الأخرى يضغط على كتفه في ود بالغ وتأثرواضح فيجلس محسن ومن أمامه مباشرة إبراهيم والذى يحدّق مليّا

في عينيّ محسن الزابلتين والمحتقنتين بلون الدم مستشعرا حجم ما لحق به وبأسرته فيغمض عينه وهو يتنهد بثقل وعلامات الشفقة ترتسم على عينه ويضع قبضة يده على فمه أسفل أنفه قائلا: أنت تؤذي نفسك يامحسن!

محسن يطأطىء رأسه ويصمت برهة، لا يفعل إبراهيم فيها شيئًا بل تركه يعبر ما تقلب بداخله من حزن ويهمس محسن بصوت مرتعش:

- جوايا شعور كبير بالذنب ناحيتهم، أنا السبب في كل ما جرى لهم.

في ذهول ينصت له إبراهيم بنظرات مستفهمة، يترقب رد وتوضيح عما يقصده، ولما لم يجد منه ردًا! ويقوم من مكانه ويقوم برفع ملفًا متوسط الحجم وداكن اللون من على سطح مكتبه، يقلّب صفحاته يتّوقف عند فقرات منها يدقق فيها النظر قبل أن يطوى الصفحة، ينتقل لأخرى كأنه يتأكد من جديد عما اطلّع عليه من تحقيقات للنيابة مع زوجته المتهمة بقتل طفله، وذكر أقواله هو شخصيًا ومديرة منزله، علاوة على ما جاء من إفادة للطبيب الذي قام بالإتصال بالشرطة فور تيقنه من سبب مصرع الطفل، بعدما لم يفلح في أن يسعفه وينقذ حياته، ويغمغم إبراهيم وهو يردد ما يقرأه بصفحة توقف عندها:

-وأضاف الطبيب في أقواله إلى أن السبب كان نوع من الأقراص التي تتناولها المتهمة باستمرار كمقوي عام للصحة، ضمن عدد أخر من المكملات الغذائية تداوم عليه لخضوعها لأحد أنظمة الرچيم، وهو ما كانت بقايا منه تترسب في قاع كوب العصير الذي تناوله الطفل والذى أودى..

ويرفع بصره وهو ينظر لمحسن والذى يجده ينصت له في صمت، ومستدركًا وبنبرة إعتذار: - أنا أسف يامحسن.

فيومئ محسن برأسه متفهمًا، ويرجّع إبراهيم الملف ثانية على طرف المكتب، وقبل أن يجلس يبزغ خاطرًا ملحًا في رأسه، وعلى الفور يرمقه بنظرة مستفهمة ولايتكلم، فيرى محسن أن عليه أن يجيب على ما يدور في رأس إبراهيم من أسئلة وتعكسها نظرات عينه فيفرك كفيه وهو لا يدري من أين يبدأ، كما أنه وكلما همّ بالحديث يتجنب النظر في عينيّ إبراهيم ويتردد ويرتبك، فيبتلع ريقه ويستجمع نفسه ويتأمله متوسلاً أن يدرك ويصدق ما يود أن يقول، ولكنه يتراجع عن الحديث كلما وجد أن عليه أن يرد، وبصوت متهدج شرخه الألم يقول:

- كريمة لايمكن أن تقتل ابنى، إنها أول من يُؤتمن عليه وهي آخر من يفكر في إيذائه بأي شكل.

فيتقاطعه إبراهيم:

- تتهم أحدًا؟

فيهز محسن رأسه بالنفي وإبراهيم ينصت إليه متعجبًا، قائلا بضيق واستغراب:

- القانون لايستند أويقر بالعواطف في تقفي أثار الحقيقة، وفي عمليات سير التحقيقات وجمع الأدلة! لدينا جريمة ومتهم وضحية.

وقبل أن يكمل إبراهيم ما يقول ويستنكر من رده، فإذا بمحسن يطرح عليه سؤالاً مباشرًا بتلقائية وبكل جدية:

- ما الموقف القانونى لكريمة؟

إبراهيم يرد بنفس السرعة والجدية التي سأله بها قائلاً:

- الإعدام.

فيسكت محسن ولم يستغرب أو يعقّب، لربما يعرف ما قد ينتظرها، وأثناء ذلك وعلى ما يبدو أن ابراهيم قد وجدها فرصة سانحة ليستكشف محسن بما انطبع لديه تجاهه من خلال حديثهم فيباغته قائلا:

-موت ابنك نال منك وأثر فيك.

ويبتلع ريقه بصعوبة وحرج ويكمل:

- ولكن هل يقلقك ويؤثر بك أكثر المصير المحتوم للزوجة؟!

محسن:

- كريمة ؟

فيتعجب إبراهيم في نفسه من تلك النبرة الحانية التي رد عليه بها، فينصت له دون إبداء أي دهشة أو حيرة، وتتلاقى عينيه بعينيّ محسن الذي يرد في يقين تام:

- الأثنين، حضرتك قد تستغرب من موقفي.

فيهز إبراهيم رأسه موافقة فيردف محسن:

- شعور بالذنب، أنا السبب.

ينصت له إبراهيم في حنان وشفقة، محاولاً تفهم موقف محسن ثم يستطرد قائلاً:

- لا تحمل نفسك مالايطاق حمله فزوجتك قامت بقتل طفلك الوحيد يا محسن، وهذه مصيبة كبرى وكارثة تهز كيان أي أحد، كما يصعب احتمالها أو تجاوزها بسهولة، ولكن يحيرنى موقفك هذا منها يامحسن! نك لاتصدق أنها من فعلتها وتدافع وتنفى إمكانية قيامها بالجريمة وبلا أي دليل!

محسن:

- إنها تحب الولد أكثر مني.

- يجوز أنها صاحبة عاطفة جياشة وحنونة وتحب ابنك لأنه طفل صغير وبريء ومطيع مثلا بالنسبة إليها.

- كان نقطة ضعفها، ومن أجله ظلت واستمرت معي.

- كيف؟! وضّح أكثر.

وتنبسط أسارير وجهه وهو يتّحدث عنها، فيطرق إبراهيم له محاولاً أن يتعرف على ما لديه من أسباب لهذا الموقف الذي يحاول أن يفسره بمعزل عما ورد في ملف القضية، وحقيقة أنها المتهمة بقتل طفله الوحيد!

- كانت تحبه بشدة ومتعلقة به، زوجتي لاتنجب.

فيبتسم إبراهيم على استحياء بعدما استرعى انتباهه قوله زوجتي، فيستطرد إبراهيم قائلاً:

- أعرف.

ومستفهما:

-لما تضغط عليها؟! لأنك تريد أطفالا وهي لن تستطيع؟!

بتردد وتلعثم ويهز رأسه بالنفي:

- لا أبدًا، ولكن بسبب الخلافات التي يمكن أن تحدث بين أي اثنين.

وهو يحاول ربط بعض الأفكار ببعضها ويداخله ظن أقرب إلى توقع متسائلاً:

إبراهيم:

- أم تجاوزات بحقها منك ؟ خيانة مثلا؟

لم يتفاجأ محسن أو ربما حديثه عن كريمة يبتعد عن أي إنكار أو يشوبه أي كذب، فيرد في عفوية وبتلقائية على مايطرح إبراهيم ويتوقع:

- أحبها وسأظل أحبها، أما مسألة خيانتي لها فقد كانت تهدد استقرارنا، وكان ميمو حجر الزاوية لاستقرار حياتنا.

- طيب، وهذا جيد جدًا ..

- كان من الممكن أن تتركنى وتذهب، خاصة وأن الطفل ليس بابنها.

- إذن كانت متعلقة به وتحبه كما قلت ووصفت.

وبينما محسن يسترسل يتبادر إلى ذهن إبراهيم أمرًا، وكأنه يعاود قراءة ما جرى من وجهة نظره من خلال ما يُكشفف أمامه من بوح محسن وردوده على أسئلته:

- محسن؟

- أفندم؟

- زوجتك كانت تنام مع الطفل؟ أم هناك غرفة خاصة بكما؟

- لنا غرفة خاصة وميمو له غرفة ملاصقة لغرفتنا لا يفصل بينهما سوى جدار.

- أين وُجّد الطفل صريعًا؟

- على السرير في غرفتى أنا وهي.

فيهز رأسه متسائلا إبراهيم:

- هل تقوم بزيارتها في السجن؟

- ذهبت مرات ولكنها ترفض أن تقابلنى.

- دافعت عن نفسها؟

- لا.

- هذا بالفعل ما قرأته في تحقيقات النيابة معها.

- سأجن، لما لا تتكلم! لا تدافع عن نفسها! حتى إنها لا تبكي!

- كيف؟! وأنت تقول أنها امراة عاطفية وصاحبة قلب عطوف! هل الغيرة قتلت كل مشاعرها؟!

- ليس إلى هذا الحد يا فندم، هي زوجتي أنا وميمو ليس له ذنب.

- أخذته بذنبك!

- وهل هان عليها ولم تتأثر لموته؟

- تقصد لقتله.

وهو يؤكد على ما اطلع عليه وتدور من حوله القضية، فيتخطى محسن ما قال قائلاً:

- وترفض أن تقابل عمتها، كما رفضت مقابلتي.

إبراهيم بعزم وقد أدرك أن ثمة حلقة ما مفقودة بسير الأحداث المحيطة بالجريمة التي وقعت، فيقرر في داخله أن يعيد قراءة القضية وتناولها بمعزل عما يتردد، ويدفع إلى أن كريمة قتلت الطفل انتقامًا من محسن بسبب الخيانة.

إبراهيم: انتظر منى اتصال وشيك أو موعدًا مرتقبًا، ما رأيك؟

محسن وهو يهم بالوقوف وفي امتنان بالغ:

- يشرفني يافندم، وألتمس ألا تتأخر حضرتك عليّ.

- إن شاء الله يا محسن.

- إن شاء الله ياسيادة المستشار

وفي هدوء يقوم إبراهيم هو الأخر من مكانه.

***

يفتح الباب ويدخل في غرفة جانبية بالدور الأرضي، متجنبًا النظر ناحية السلم الداخلي المؤدي للطابق العلوي وغرفة نومه الخاصة، ويدخل ويغلق من خلفه الباب عقب عودته من مكتب المستشار إبراهيم الكومي، يسير بضع خطوات إلى وسط الغرفة ويتوقف في مكانه مشدوها يستعيد ثمة ما قد دار في المقابلة من حديث بينهما، ويميل برأسه يمينا ويسارا يهز رأسه وهو يجعد جبهته ويلقي بجسده المثقل بالحيرة والأسى والهم والتعب فوق سريره بكامل ملابسه، هاربًا من أمواج الخواطر المندفعة على ذهنه، ثم يجلس ثانية ويرخي رجليه إلى الأرض، ويعدل جاكيت بذلته الذي التف حول جذعه بفوضى، بعدما بسط جسده على السرير وينظر أمامه في استياء وهو يذمق شفتيه ويتجدد القلق والحنق والضيق عليه، ويبدو إنه كمن يسترجع بعضا مما دار بينه وبين المستشار الكومي، فيضيق محسن عينيه ويجز على فكيه بلوم وسخط، ويشرد بعيدًا ونظرات متباينة تتلاحق في عينيه وتنعكس على ملامح وجهه، فيهب واقفًا بهدوء وهو مازال يسترجع من بين ما دار، وفجأة تنبسط ملامح وجهه وتنبسط جبهته في جدية وعزم تحديدا لدى ويستعيده كما سمعه من المستشار

صوت إبراهيم: موت ابنك أثر فيك، ولكن هل يقلقك ويؤثر بك أكثر المصير المحتوم للزوجة؟!

يضع كفه على قلبه وقد اغرورقت عينيه بالدموع مثقلا بالعزم والإصرار على إخراجها، لايهتز أمام ما يسمع، لا يقبل إلا ما يملأه من يقين، يود لو يصرخ في وجوههم "لا أحد منكم يعرف كريمة"

ويضرب صدره بقبضة يده في عنف وعصبية وأسى، والدموع تندفع من عينيه مستشعرا بالذنب فيما حدث فبين يوم وليلة وجد أسماء أحب ما لديه على صفحات الجرائد طفله قتيلا وزوجته المتهمة! يستجر محسن من أحزانه، يفكك صدمته ينظر في تشكيك كأنما يحاول ألا يصدق ما يمر به "أنا السبب وأن البيت قد خلا منهما وأنه قلبه يجلده ألم فقدان ميمو وكريمة".

***

الظلام يحكم قبضته على المكان بكافة زواياه إلا من ضوء خافت قادم من مسافة غير بعيدة، في أجواء من السكون بتلك الساعات المتقدمة من الليل، في حين تغط كريمة في النوم وطرف الطرحة على مقدمة جبهتها والتى تضعها مفكوكة فوق رأسها، وشعرها مختبيء خلف رقبتها إلى جانب أحد كتفها وذراعها ينثني على صدرها والأخر فوق جبهتها يحجب كل عينيها، إلا أن شفتيها تتحرك مرتعشة في خفة وكأنها تتبسم، وفجأة يهتز جسدها في مكانها فتفيق من نومها وترفع ذراعها إلى صدرها، وتفتح عينيها بقوة وهي تلتقط أنفاسها وتبتلع ريقها، وشفتيها عليها ابتسامة مترددة نوعا ما، ثم متطلعة تستشعر ما يحيط بها فترمقه بلا اهتمام أو تأثر، وتدريجيا تكتسب

ملامح وجهها علامات الارتياح والسلام، فتغلق عينيها في وهن واستسلام وهي تمسح بكفها على جبهتها المتعرّقة بعدما ارتأت في منامها من حلم، وتتقلب بمكانها تغيّر من وضعية نومها إلى جنبها الأيمن وتمد يدها وتجذب الغطاء أعلى كتفها في محاولة للعودة إلى النوم.

***

والتعب واضحا عليه والارهاق يجلس قبالة إيهاب الذي يبدو منهمكًا هو الأخر يحرر رقبته من رابطة العنق قليلاً، ويفتح أزرار جاكيت بدلته ،ويستند للخلف في كرسيه وهو يتفحص محسن بلوم وحيرة معًا، ممسكًا بيده بملف، ومن خلفه حقيبة أوراقه على الكنبة والتى يدفع به إلى داخلها ثانية بعد حديث مقتضب بشأنه مع محسن، وتأتى طرقة على باب المكتب فيظهر ساعى المكتب الذي يدخل في ألية ويضع القهوة التي يتصاعد منها البخار أمامهم في هدوء بجوار طفاية السجائر المزدحمة بالأعقاب، وقبل أن يستدير قبالة الباب ليخرج

يستوقفه محسن قائلاً:

- أحضر مياه هنا ياحجاج.

حجاج:

- حاضر يافندم.

والذي يتطلع في وجه محسن على استحياء في تأثر وشفقة مستترة، متظاهرًا بنظرة حيادية لما يعلم عن محسن من حب الظهور متماسكا،

يتحفظ لأبعد حد بلا تفريط أو تهاون في التعامل مع طاقم العمل بمكتبه، ولطبيعته الغالبة عليه من اعتداد بالنفس والأنفة الواضحة في كل هناته وأبسط تصرفاته، فحجاج يعمل بالمكتب منذ أكثر من عشر سنوات، وذلك منذ أن انفرد محسن بأعمال المكتب بعد وفاة والده مباشرة، فحجاج بالإضافة لامتلاكه قلب شاب في الثلاثين على الرغم مما تعكسه ملامح الوجه لرجل قد تجاوز الخمسين، فعظام وجهه بارزة وعيناه غائرتان وأنف معكوف مدبب يتوسط وجهه، ولديه شارب كثيف أسود فاحم كظلمة الليل بنفس درجة صبغة لون شعره الذي تتوسطه صلعة من الأمام إلى جانبي الرأس قليلاً، كما تبدو ثيابه مرتبة منسقة بعناية ويكن حجاج لمحسن امتنان ومحبة خالصة وإعجاب كبير.

بعد خروج حجاج بخطى سريعة يلتفت محسن مردفًا يواصل حديثه إلى إيهاب والذى يرفع فنجان القهوة ويرشف منه:

- لم أرد أن أثقل عليك.

فيهم إيهاب الذي يتطلع له في حيرة لائما فيقاطعه محسن مجددا:

- أين أنت قادم ؟! ما أردت أن أتسبب في إرباك مواعيدك أو شغلك يا إيهاب هل كنت أمر عليك وأتسبب في تعطيلك يومها وأنا ذاهب للمستشار الكومي؟!

مقاطعا في إستنكار:

إيهاب:- محسن؟!

ويقاطع إيهاب من جديد وهو يحاول أن يتظاهر أن السبب الوحيد لعدم اصطحابه لأيهاب معه هو ألا يثقل عليه، وإيهاب يعاتبه مُصرًا على موقفه، ورغم أن نظراته تؤكد أن يدرك السبب الحقيقي، إلا أنه لائما على محسن الذي يصر على تبرير موقفه بأى شكل.

محسن:

- لايصح أن أثقل عليك أكتر من هذا يا إيهاب، فأنت لديك مكتبك أنت الأخر ومواعيد ومقابلات وعمل.

فيذم إيهاب شفتيه بحيرة وحرج لما ألمح له محسن من دعمه له ووقوفه معه خلال أزمته الأخيرة، فيهز بدوره رأسه أمام أسلوب محسن الذي يعرفه إيهاب من قدرته على قلب المواقف لصالحه بكل ذكاء ولطف معًا، ويعاود رشف القهوة من فنجانه وقبل أن يرفع محسن فنجانه يلتفت على ظهور حجاج وهو يمرق من الباب، حاملا زجاجتين من الماء وكوبين فارغين من الزجاج الشفاف، على صينية معدنية مزخرفة، بيضاوية الشكل ويتقدم واضعا الصنية بجوار الماء، ويخرج ويغلق الباب من خلفه في سرعة متناهية ويخرج ويغلق الباب من خلفه.

إيهاب مستطردا:

- لم يمتد بنا الحديث طويلاً، ولكنني لمست كم هو مهتم بالقضية.

محسن ينصت في ترقب إيهاب وكأنه يمهد لشىء، ومحسن يتوقع فيطرق منصتًا فيقول إيهاب في حرج وهو بدوره يؤيد على ما يبدو هو الأخر فيقول بنبرة لوم شديد:

- وسألني عنك سؤالا أو إجابة لم أقدر أن أحدد فسكت، سيادة المستشار يقول لست أدرى هل يحب محسن زوجته أكثر أم إبنه ؟!

يتبدل على الفور وجه محسن ويحتقن بالغضب يزدرد من ريقه، محاولاً أن يسيطر على نفسه ويهدأ وبصوت مضطرب:

- قال لك هذا؟!

- هذه قضية يا محسن وهو يعلم إنك أخي وصديقى، وسيادة المستشار إبراهيم الكومي والد قبل أن يكون قدوة ومكانة وقيمة ومثال يتمنى جميعنا أن نجالسه ونكون مثله.

- ولكن ما كان يجب أن يقول هذا.

- معذور.

- أرجوك.

- لو أنني في مكانك كنت سأسعى لتحقيق العدالة وإنزال العقوبة الحتمية بها.

يرتبك محسن ويكز على فكيه بضيق، فيكمل إيهاب قائلا:

-هل الضنا يتساوى في المكانة، ورفيق الفراش أم ماذا يا محسن؟!

يرمقه بنظرة غاضبة ونبرة صوت لائمة في استنكار ثم يقول:

-إيهاب!

وهو يهم بالانصراف متوقفاً بمكانه وفي لوم وإدانة:

- أنت لست مصدوما ولا حزينا على موت ابنك بقدر حزنك وبحثك عن مخرج للهانم، ياترى ستتركها على ذمتك ؟!

وبتشفى وحزم:- هي ستعدم على أي حال.

محسن يهب واقفا في غضبٍ وينظر شذرا لأيهاب

محسن :إيهاب أسكت حتى لا تخسرنى!

إيهاب وهو يرفع حقيبته في تأثر وتوتر بالغ: - أتوقع أن تقول أي شيء ! ولن أغضب فلست أغلى لديك ولا اقرب من محيي ابنك!

ومحسن مصعوقا ويهوى جالسا في كرسيه خائر القوى يقول في أسى: - لا أحد يحس بي، لاأحد يعرف الحقيقة.

وهو يتجه ناحية الباب حاملا حقيبته في يده وبكل جدية وحزم

إيهاب: - تعرف الحقيقة؟!

أخبرنا إن كانت بريئة ليفرج عنها.. قل يامحسن.

محسن واضعا يده على وجهه يسند بها رأسه الذي يميل به على جانب ويخفي عينيه وهو جالسا في كرسيه في حالة يرثى لها، حائر عاجز مضطرب وفي صوت متهدج ساخط: - لا أعرف.. لا أعرف.

وقبل أن يفتح الباب ويخرج كمن يعطي أخر فرصة أخيرة

إيهاب: هل تخفي شيء؟

محسن: - كريمة لا تقتل محي أبدًا.

فينظر له أيهاب في أسى وغضب معًا وقبل أن يفتح الباب ويندفع منه خارجا

إيهاب: سأذهب لأني لا أحب أن أراك بهذا الشكل!

أنت تغالط نفسك، أنت محامي يامحسن قبل أن تكون والد الطفل المغدور.

محسن يستوقفه الوصف وهو مازال يترنح في مكانه ساكنا بلاحركة، بصوت متحشرج وكأنه كان لايود أن يقولها أبدًا فتخرج الكلمات ثقيلة متقطعة تعكس حزن وشفقة كبيرة على حال محسن: -زوجتك قتلت ابنك، تذكرها جيدا وإياك تنساها.. استاذنك.

ويغلق الباب من خلفه في هدوء مارا بالصالة الكبيرة بإتجاه الباب مباشرة بينما يظهر حجاج وهو ينظف في جانب في المكان ولكن تتلبسه حالة حزن بالغة والدموع تترقرق في عينيه جامدا في مكانه لاينطق ولايتحرك.

قبيل دخول وقت الظهيرة وفور أن تسلمت تصريح الزيارة، صافي تسير بجوار السجانة (سميحة) قلقة ومتوترة تتظاهر بالثبات وشيىء من اللامبالاة ولكنها مشدوهة تحاول استجماع شتات نفسها، وذلك فور مغادرة مكتب مأمور سجن النساء وبيدها ورقة التصديق المباشر منه، المختومة بعدة أختام متناثرة في أنحاء التصريح تحمل تاريخ اليوم الموافق (السابع من نوفمبر ٢٠١٠) والذى تدسه في حقيبتها وعينهيا تدور في المكان

برهبة وقلق وارتباك حتى أنها تلتفت للخلف كأنها تتحقق أنه قد حدث بالفعل وترمق باب الغرفة بفاه فاغر وعيون جاحظة غير مصدقة لتواجدها في المكان، وتنتقل عينيها على الجدران السميكة فتتأملها في بلاهة واستغراب كأنها داخل معبد بجدران صخرية ضاربة في القدم، والأرضية التي تختبر ما تعكسه من صلابة وجفاف مفرط، فتضغط بباطن قدميها عليها في عفوية كما وعلى إمتداد بصرها لأعلى يظهر السقف الممتد بطول الممر مع سيرها

مصابيح الإضاءة الكبيرة المتدلية من أسلاك غليظة مدلاة من فتحات بالسقف وتخفض جفنيها وتسعل فجأة فتلتفت عليها سميحة تسبقها بخطوة واحدة، فتنظر لها صافي بترقب وفي محاولة منها إلى أن تهدأ فتستنشق كمية من الهواء بعمق وهي تسير جنبا إلى جنب مع سميحة التي تسير بخطى ثابتة في ألية أقرب إلى المشيّة العسكرية الجادة والمنتظمة والمتتابعة، وتستديروتدخل إلى ممر ضيق وصافي تلحق بها إلى أن وصلا إلى منتصف الممر وتتوقف قائلة لصافي في جدية وحزم وهي تشير بكف يدها

سميحة: - أدخل معكِ؟!

فتومئ صافي برأسها منتصة لا تعس ما ترمي إليه السجانة، فتكرر سميحة ثانية لما أدركته من عدم فهم صافي أو تعقيبها على ما قالت.. بنبرة حازمة في غلظة

سميحة: - أخش معاك وأنت بتعملي شغلك.. في المقابلة ؟

صافي: - لا أعرف.

فتتطلع في وجهها ولهيئتها كمن يكوِّن انطباع ما عن أحد، فتنبسط ملامح وجهها وتقول في ود وتلطف

سميحة: - سيتم اللقاء مع المتهمة هنا وسأكون حاضرة وعلى مقربة منكما.

وتتكمش صافي على نفسها وتستشعر الخطر، وهنا فقط يبدو أنها فطنت لما كانت قالته وكررته عليها منذ قليل.

وتتجه بصافى إلى المكان المخصص لزيارات أصحاب الأحكام المشددة والذى تتشكل أبوابه جميعها من الحديد بخلاف المكان المخصص للزيارات أصحاب الأحكام المخففة والعادية في درجة جرمها واختراقها للقانون .. كالسرقة والنشل والرشوة وتسيران جنبا إلى جنب في الممر، ثم تتوقف سميحة أمامه واحدة من تلك الغرف ومن سلسلة مفتاتيح كبيرة بيدها تختار واحدا تتحقق فيه ثم تمده في المزلاج وتفتح الباب الحديدي محدثا جلبة وصافي تتابع في ترقب ورهبة متظاهرة بالثبات والفضول، فيما ترمقها سميحة بنظرة عابرة لا تنم عن شيء معين، وتدفع الباب ممسكة به بيدها الأخرى بقوة فينتفتح عن آخره مستندا إلى الحائط بدون صوت عن حرص منها، وتتقدم إلى الداخل وصافي متوقفة مكانها تتابع في صمت

سميحة: - كريمة أحمد جلال؟

صوت واهن من الداخل ويقظ بعض الشيء، صوت كريمة:- أفندم.

سميحة: - الصحفية جت.. اللى هتعمل معاكِ اللقاء زى ما أنت عارفة وبلغناكِ.

صوت كريمة وفي ألية: - حاضر يافندم.

سميحة: - تعالي يابنتى .. ادخلى ياأنسة.

صافي وقد تأثرت برد كريمة على ما يبدو فترد قائلة في تلقائية

صافي: - حاضر يافندم.

سميحة وهي تنظر لصافي وهي تمر بجوارها تعبر الباب الحديدي إلى الداخل نظرة ذات معنى

-أنا هنا موجودة لاتقلقى.. تمام؟

صافي وقد وعت لما ترمي إليه السجانة

صافي: تمام ..

وتنظر للداخل وبنبرة لاتخلو من حكمة وحرص

سميحة: - أتكلمى ياكريمة قفلة بوك مش هتفيدك، قبلك ناس معرفوش قيمة الكلام إلا ساعة..

وتتوقف عن الكلام وكأنها تقصد لحظة الإعدام!

فتكمل في حيادية ولطف..

سميحة- يلا ربنا يسترها عليك.. شوفي شغلك يابنتى.

وتقف أمام الباب الحديدي من الخارج في المكان الواقع بين غرف الزيارة، بينما صافي تدخل بخطى ثقيلة ولكنها لم تتظاهر تلك المرة بالقوة ولا بالثبات، لقد دخلت متوجسة تسير إلى الداخل في حذر، بينما كريمة تقف في وسط الغرفة بملابس السجن البيضاء في هدوء، تنظر مباشرة لصافي بترقب وحيرة معًا، وتمر دقيقة واحدة كاملة كلا منهما تنظر في عينيّ الأخرى في صمت.

صافي متوقفة مكانها وكريمة أيضًا، ولا واحدة منهما تتقدم أو تتحدث، فتجلس كريمة على واحدة من المقاعد الحديدية المثبتة بأرضية الغرفة والملاصقة للجدران مباشرة وهي ترنو بنظرها وقد أدركت ما قد يدور بداخل فتاة صغيرة بعمر صافي في ظروف كهذا فتجلس في هدوء وتتجنب النظر ناحيتها فترتبك صافي التي تجد أن عليها أن تبدأ الحديثه،ولكن وجهها بدا ممتعضًا على خلفية ما تسترجع ونظرات عينها التي تتقلب بالمشاعر بين خوف ونفور وذهول وهي ترمق كريمة بتوجس على استحياء، حتى لاتنتبه إلى نظراتها في حين كريمة تنظر الجهة الأخرى وكأنها ودت أن تتنقل صافي وتتدرج في موقفها تجاهها على خلفية ما جاءت وهي تحمله بداخلها على أن تختار في النهاية ما سيمهد لبدء الحديث فيما بينهما..

وبالفعل قد أرتأت أن تشرع ببدء عملها وإجراء مهمتها

صافي:- صباح الخير.

بعد لحظة. كريمة: - صباح النور.

صافي: - سمعت السجانة بتناديك باسمك.. كريمة إبراهيم..

فتقاطعها كريمة وبنبرة هادئة. كريمة: - كريمة أحمد جلال.

صافي مبتسمة بود مشوب بالحذر والترقب: - أهلا بيك مدام كريمة.

وفي زهو بالغ وملحوظ:

- أنا صافيناز على شعبان أو صافيناز شعبان من باب الاختصار كما أفضل، أنا صحفية بجريدة الميزان الأسبوعية.

تنصت كريمة لها عن كثب وتنتبه لتلك النبرة التي تتحدث بها صافيناز وهي تقدم نفسها، فتتخطى ما التقت من فكرة عنها قائلة في حياد وبعضًا من ود.. كريمة: - أهلا بيكِ.

صافي: - أنا أسفة للظرف و..

كريمة: - لاعليكِ.

صافي بحرج ولا تجد ما تقوله تمهّد به قبل بدء الحديث، فتنظر لكريمة وهي مرتبكة وبشيء من الحرج وهي تقوم بفتح حقيبتها وتخرج جهاز تسجيل تمسك بإحكام من المنتصف

صافي: - من أين تودين أن نبدأ حديثنا؟

كريمة:- كما تريدين.

صافي: - في البداية أكرر أسفي على الظروف التي تمرين بها.

وأمام صمت تقول مباشرة

صافي: - نادمة؟

كريمة مستفهمة: - بدأتي اللقاء.. هل هذا هو أول سؤال؟

فترتبك صافي ولا تعرف ماذا تقول، ولكنها لما لمسته من تعجل وجدية في نظرات وصوت كريمة فتجد أنه لابد وأن تستثمر الوقت وتختار بدورها أهم الأسئلة وسط قلقها من إنهاء كريمة للقاء في أي لحظة، فتعمد إلى استفزازها لتتكلم وتدافع عن نفسها.

صافي: - أول سؤال .. كيف كانت علاقتك بالطفل القتيل؟

فتنظر لها كريمة بترقب ولا ترد فتطرح صافي سؤالاً جديدًا

صافي: - هل كنت تحبينه؟ وما الذى دفعك لارتكاب الجريمة؟.

كريمة لاترد وتغيب في شرود

صافي تستعد لطرح أخر فتتفأجأ برد كريمة على سؤال واحد منهم في تأكيد وبهدوء

كريمة: - أكيد.

صافي بفضول وفي ذهول: - طيب ..لما حدث هذا وكيف؟! ألم تتملك الشفقة عليه وهو طفل صغير ابن خمس سنوات؟! وأنت يبدو عليك أنك سيدة لطيفة ورقيقة ولديكِ أخلاق؟!

كريمة: - لديّ أخلاق؟!

صافي: - أنا آسفة.. أقصد إن هيئتك توحي بأنك سيدة طيبة.

كريمة: - رتبى أسئلتك وأعرضيها عليّ.

صوفى في شيء من التحدى والأرتباك معًا :

صافي: - جهزتها قبل أن أحضر.

كريمة: - يمكنني رؤيتها؟

تمد صافي يدها لكريمة بورقة كتبت بها الأسئلة

صافي: - تفضلي.

وتأخذ كريمة الورقة من صافي دون أن تنظر لوجهها، فتزداد صافي رهبة وتوتر وتستشعر صعوبة في اللقاء، بينما أمسكت كريمة الورقة وتقوم بقرأتها تمر على كل سؤال بعينيها، بينما صافي تتبدل نظراتها بين الفضول والاستغراب والغضب المكتوم، وهي تتأمل وجه كريمة وهيئتها والتى تستشعر للمرة الأولى بتلك اللحظة فقط أنها أمام شخصية غير عادية، أو غير طبيعة وتميل ربما للثانية هكذا تشي نظراتها لها، وهي ترى أنها أمام سيدة قد قامت بقتل طفل صغير لم يتعدَ عمره خمسة أعوام، فهي وهنا بدأت تضطرب صافي في داخلها وتركن إلى الحذر في حديثها، حتى أنها بدأت تنتبه لكل ما يصدر عن كريمة من حركة، وراحت تراقب نظرات عينيها والتى مازالت تنتقل ببصرها على السطور دون أن تنطق بكلمة وكان هما ثقيل يعلو يرتسم على ملامح وجهها وهي تواصل الاطلاع على ما بالورق من أسئلة تدور جميعها حول الجريمة، ولما نفذت كريمة من

القراءة أزاحت غمامة الأسى عن وجهها ورسمت ابتسامة محيرةٌ لا معنى لها على شفتيها، وشرعت تتحدث فسعلت بصوت مكتوم، فانكمشت صافي على نفسها وتجنبت النظر في وجه كريمة بحذر، وأطبقت شفتيها وجحظت عينيها كما جمدت ملامح وجهها، تبدو خائفة من كريمة تتفحصها بتوجس وهي تتأمل هيئتها وما ترتدي من ملابس السجن البيضاء، وتدور عينيها التي تتزاحم فيها الأفكار رافعة كتفيها لأعلى تدفع رأسها بينهما، كأنها تحتمي من شيء يتهددها مدفوعة ربما بفكرة مغلوطة عن نزلاء السجون من أنهما حاملين للأمراض المعدية والخطيرة.. كالسل والجدري وربما مرض الشلل الثلاثي! فتتراجع للخلف خطوات ويغرق المكان في الصمت وبدا عليها كما لو أنها تود لو تلوذ بالفرار من المكان، ضاربة عرض الحائط بكل شيء على أن تنجو بنفسها من خطر محدق يتمثل في كريمة، التي لا تعرف من أين تبدأ بعد لحظات من الشرود بعيدا تقلب فكرة في رأسها في الوقت الذي تتدحرج فيه صافي على سطح مخاوفها فتقطع كريمة كل هذا قائلة في تلقائية وجدية معًا

كريمة: - قرأت أسئلتك.

فترنو لها صافي بنظرة غير عابئة نوعا ما، وهي مازالت ترتجف من الداخل واقفة في مكانها لاتبرحه.

كريمة مسترسلة: - أنا محامية وكما كنا نفعل مع بعض الزبائن في المكتب سأجري معك الحديث وتنشريه في الجورنال الذي تعملين به، ويكتب أسمك وطبعا أنت تعلمين بأنني قد رفضت عمل أي حديث صحفي

فتنتبه صافي وتستشعر فوزا وبوادر لإنجاز مهمتها، فتهدأ وتتبخر كل مخاوفها دفعة واحدة تنصت لكريمة في ترقب واهتمام معًا..

كريمة:- لي شرط.. تجلبى لي ثمة شيء هام بالنسبة لي من بيتي.. موافقة ؟!

تتأملها صافي متعجبة ويتجدد ثانية ما انطبع بداخلها في أن كريمة شخصية غير عادية أو ليست بطبيعية وعلى الفور قد وجدتها صافي فرصة فقلبت بعد تردد

صافي : لا أدري بما أقول ؟! لكن ممكن تسمحي ل أن أعرف ما هذا الشيء الهام لك من هناك؟

كريمة:- هل وافقتى؟!

فأومأت برأسي بالإيجاب فابتسمت لأول مرة ابتسامة لها معنى ظاهر، ولكنها شردت لبرهة فغابت الابتسامة ثانية وعاد وجهها زابلاً منطفىء من جديد! إنه أمر عجيب حقا ما تعكسه عيوننا ووجوهنا في كل لحظة، وأمام صمتي ومراجعتي لما لمست أنها تعده اتفاقا صمتت هي الأخرى ولكنى أستدركت فأشرت لها لتكمل حديثها..

صافي: - تفضلي.

وعلى الفور أشارت لصافي لتفتح جهاز التسجيل والتى قامت بفتحه وتهيئته، ثم مدت كريمة يدها طلبا للجهاز فناولتها إياه صافي واقفة مكانها في حالة تأهب لما ستقول ..

كريمة: - ميمو هو ابنى الذي لم يقدر لي أن أنجبه من دمي ولحمي وروحي ونفسي.. أنه من الصعب أن أصف لك ما كان يمثله لي ومكانته في قلبي ولدي، ولكن يمكن أن أقرب لك المسألة لقد كنت أسأل نفسي باستمرار، تُرى ماذا فاتني ما أقصر فيه وما قد نسيت أن أقدمه لميمو ..غالبا لم أجد إلا القليل النارد

هذا الولد طعم الحياة لنفسي ومعنى كل جميل فيها .. كانت أمه تتعجب وتمتن بشدة بمدى حبي ورعايتي له.. والحقيقة أنني من كنت الممتنة لوجوده في حياتي والمتعجبة من تعجبهم فمن أرعى وأهتم! مثل كل أم أفعل كل ما بوسعي دونما أن أفكر أو أنتظر ما أكافأ عليه من أحد، اكتفيت بحبه لي وتعلقه بي وماذا أريد أكثر من هذا؟! وتبتسم كريمة ابتسامة عريضة وتشرد لبرهة والابتسامة مستقرة على شفتيها فتشرق بها ملامح وجهها . ويتولد فى عينها بريقاً.

كريمة: - ميمو ظن أن له قلبين، هكذا كان يعتقد ويقول "ماما أنا عندي قلبين، قلب لماما كريمة، وقلب لماما عايدة وبابا، وريما وتيلا بنات عمتو أماني" كان هذا وصفاً يعكس إحساس طفل صغير مع مشاعره المتحيرة تجاه أمه.

وتلمع دمعة بعينيّ كريمة:- أول مرة قالها حبست دموعي لإحساسي ومعرفتي للسبب الذي دفعه ليقولها! ولكن أعجبني بشدة هذا الوصف، فقبلت يده وخده، وقلت له أن كلاً منا لديه قلبا واحدا وهو مثل الجميع يمتلك قلبًا واحدًا، ولكن قلبك كبير يتسع لكل من تحبه ويحبك، لم يفهم.. ولكننى قمت بتبسيط الشرح له وعلى طريقتي المعتادة وأنا أقوم بمذاكرة دروسه معه، فقلت له "تعرف الرمانة التي تحب طعمها كثيرا ؟ فضحك وقهقه فهو

يحب تناول الرمان بكثرة، وسألته هل تستطيع أن تخبرني بعدد حبات الرمانة الواحدة؟ قال لا..

فقلت له كيف وهم بداخل رومانة واحدة فقط؟ فقلت له وهكذا القلب يتسع للكثير مما قد لا نستطيع أن نحصي أو نعد.

فضحك وشعرت أنه قد فهم، كما أنه فرح وتأملني بارتياح، لقد أجبت على سؤال كل محيره ويتعبه كان يظن أنه عندما يحبني أنا فهو لن يقوى على أن يحب أمه".

وفجأة رأت صافي لسبب غير معلوم إلا لها في أن تقاطع كريمة قائلة في صيغة سؤال مباغت ربما لتظفر بإجابة على طريقة ما تعلمت في قسم الحوادث على يد الأستاذ رأفت

صافي: - ولِما قتلتيه؟!

لم تتفاجأ كريمة، ولكنها تماسكت وهي ترمق صافي بنظرة لائمة وصمتت لبرهة وقد هدأت قليلا واسترسلت في حديثها من جديد بصوت واهن بعض الشيء، وبدأت الدموع تنساب من عينيها قائلة بصوت متهدج:

كريمة: - ميمو .. قتلني.. قتلني.. قتلني، هو السبب.. هو السبب.

هنا كادت صافي تفقد ثباتها وصبرها وهي تنصت لما تقول كريمة وهمت بطرح سؤال آخر أكثر استفزازًا لها، ولكنها تراجعت على مضض وأثرت الصمت وعلى ما يبدو إلى حين!

كريمة بحنق وأسى: - في كل مرة عزمت على أن أذهب كنت ابقى من أجله وبسببه، كثيرا ما كنت أتراجع فأستمر، وكثيرا ما كنت أضعف.. هذا الضعف كان يخفف عني كل أوجاعي وأسترد به ثقتي في نفسي، وأدرك من جديد قيمة الأشياء من حولي، إن الضعف المستمر أمام المشاعر الصادقة من أعلى درجات القوة، ميمو كان حلقة الوصل بيني وبين الحياة.

صافي وسط تظاهر أنها تنصت وفي صمت وحياد تميل إلى كتفها وتعبث بذراع حقيبته المعلقة في كتفها وهي تحاول إخفاء نظرة استهجان واستياء مما تسمع!

بينما كريمة تقوم من مكانها وتأخذ في التجوال في المكان وهي تواصل حديثها، فترمقها صافي بدهشة وكلما مرت بجوارها صافي تأخذ في ضم ذراعيها على نفسها وهي تشبكهم حول صدرها كما لو أنها تخشى أن تلمسها وهي تمر بجوارها وبدون قصد، أو لربما تمنت أن يكون بينهما حاجز زجاجي كما شاهدت في الأفلام الأجنبية ربما!

تتوقف كريمة عن السير وتنظر في الفراغ ولاتتحدث، كمن شرد بعيدًا بعين مفتوحة تتطلع للا موجود ولامرئي ويرتسم الأسى والحنين على وجهها، ونظرات عينيها بينما صافي تتابعها بنظرة متفحصة متأنية قائلة:

صافي: - يزداد غضبى على هذه المرأة عندما تتحدث وهي تتبسم ودمعة حقيقية تلمع في عينها! إنها تذكرنى في تلك اللحظة بدلوعة الشاشة العربية شادية في فيلمها الشهير المرأة المجهولة يتراءى لي أن كريمة هذه تهوى التمثيل! فهي تبدو فعلا وكأنها نجمة سينمائية لامعة إنها جميلة جمال أخاذ من ذلك النوع الفريد الذي خلدته لوحات أبرع رسامين عصر النهضة

بأوروبا، كما وأنها جذابة ولبقة وحالمة ورقيقة على نحو مفرط، كيف حولت كل هذه الحظوظ الوافرة إلى قاتلة طفل برئء، تقبع بإحدى زنازين سجن النساء؟! هل الغيرة تدفع النساء للجنون وتلقي بهم في الجحيم؟

لما تهدم المرأة كل كيانها وتقضي على حاضرها ومستقبلها وكل حياتها بسبب الغيرة على رجل أي رجل؟! لماذا نفعل هذا في أنفسنا؟! ما من رجل يستحق أن تسعّر المرأة النار في صدرها لاجله، تكتوي هي وتتقلب على لهيبها بينما هو ينتشي فرحا، وتتضخم ذاته الناقصة فلو كان قلبها يعنيها لما قبل أن تتألم بسببه، لما فعلتى هذا يابائسة؟! أتدفعك الغيرة على زوجك لتسميم طفله؟! فهل هدأت غيرتك؟! هل ألجمتى حقيقة كونك عاقر ؟! ما كلمة عاقر هذه؟! كلمة قاسية! لعلها تضاعف الأسى بداخل المرأة التي لا تنجب الأطفال! ولكن لنرى ما أخرتها معها؟!

وتقطع كريمة صمتها بلامقدمات وتقول مباشرة وبكل تلقائية.

كريمة: - ميمو كان يحب محسن بشدة ولكنه كان يخاف منه، مع أن محسن كان أبا عطوفا ودودا ويحب كل الأطفال فكيف بابنه! ولكني لا أنجب فأكتفي بمحيي الدين فقط! كان يردد أحيانا أنه يتمنى لو ننجب أخا لمحيي! وأغمضت عينها ولمحت أنها تتكلم بشيء من التصالح مع ذاتها رغم أن ما يشير إليه كلامها..

كريمة مردفة: - تقبلت قدري كإمراة لن ترزق بأطفال وكان ميمو هو ابنى، وكم اعتبرت نفسى محظوظة به وبمحسن الذي تعهد به في رعايتي، أتذكر يوم أن أخبرني الطبيب بأنني لن أتمكن من الإنجاب مطلقا ولن أكون أما لطفل من دمي أبدا، لم أقوَ على فعل شيء سوى أن أبكي وأبكي،

ومرضت لفترة ليست قصيرة! أخرجتنى من محنتي الكبيرة ابتسامة مضيئة من ملاك بكفه الصغير أزاح عني غيمة من الحزن كانت تظلل أيامي، فذات مساء أتى به أبيه يحمله على صدره ويقربه مني وهو يقول محيي الدين الصغير جاء ليطمئن عليك فابتسمت وأنا مندهشة لما أحضره معه! وكيف سمحت أمه بذلك إلى أن أخبرني أنها قد تزوجت بعد عام على انفصالهم وظل في رعاية جدته عاما أخر، ولأنها توفيت فانتقلت بذلك حضانته إلى أبيه مباشرة، خاصة وأن والدة محسن متوفية وكان هذا من أروع حظوظي في الحياة وأكثرها شقاءً، واحتضنت محيي الدين وقبلت كفه الصغير الذي يمسكه محسن ليصافحنى وهو مستسلم لكف أبيه ويمد به ناحيتى وحملته عنه وأنا أتامله ولم أكن رأيته من قبل فقط كانت عمته تحدثّ أخيها عنه أمامى أحيانا و لم أكن أتدخل في علاقة محسن بإبنه وطليقته التي يتخلل علاقته بها سخط ومقت كبير ولما وهو من طلقها ! سألت نفسى مرة واحدة هل يحبها ؟! ولكن إحساسى الذي كان يجيب ويحسم بداخلى أسئلتى المحيرة أجاب فلا.. فعايدة إنسانة طيبة وودودة ومحسن عصبى ولايحتمل أحيانا ..

والتى كانت عيونها تطرح نفس سؤالى بين الحين والأخر عندما تأتى لتطمئن على ميمو وتجالسه خلسة دون علم محسن الذي كان يرفض أن تأتى لتراه في بيتنا !..ولكنى كنت أستقبلها دون علمه وأرحب بها تاركة ميمو معها وبدورى كنت أصعد للدور الأعلى وعندما تقرر هي المغادرة كنت أهبط لأودعها بعدما ألتمس منها البقاء لساعة أخرى أوساعتين فكانت تشكرنى بشدة وهي ممتنة لي حسن الضيافة وتجهيز إبنى لاستقبالها في أبهى صورة كما كنت أحرص على أن أضع في الأرجاء أغلب ألعابه قبل مجيئها مع التأكيد عليه أن يناديها بماما طيلة وقت الزيارة وأظنها كانت

تذهل لكل هذا أما معها فكنت ألمح السؤال هذا يقف وسط عيونها تود لو تطرحه علىّ وهو هل تحبين محسن؟! فما من إمرأة تعاشر محسن وتعرفه حقا في الوقت الذي تقدر ذاتها كإمرأة حقيقية لديها مشاعرها سوية يمكن لها أن تحبه وأنما قد تبقى معه لما يوفرها لها من حياة مرفهة ولمكانته ووضعه كمحامى لامع وشهير إلى حد بعيد؟!..و لعلها تكون قد تيقنت الأن من الإجابة على تساؤلها بعدما إنفجر قلبى وفقدت إبنى .

كلنا يطرح مثل هذا السؤال في الظروف المشابهة

هل هناك من سيأتى من بعدنا ويغرم بمن كنا نحب ثم هل من أحالوا حبنا لهم إلى حطام يصلحون للحب ؟! وإن كان الأمر يحدث لما يعدهاالبعض هزيمة بحقه ؟!. الحب جنة وجحيم نار ونور ابتسامة حبور وسرور وشهقة وجع

كلما تحّدثت كريمة تجددت دهشتى إنها تتكلم كفيلسوفة في ثوب سجينة على ذمة جريمة قتل طفل برىء تارة تصفه بالملاك وأنها أمه وتارة أخرى تنسب إليه السبب فيما حدث؟! إنها إمراة غريبة حقا .

كريمة تبسط يدها وتقبضها على المسجل ربما شعرت بشيىء من التعب في يدها فقامت بنقل المسجل إلى يدها الأخرى وصمتت للحظات وصافي تنصت مشدوهة إليها تتعجل أن تواصل ما تقوله وسط ما تعكسه نظراتها المترقبة والحائرة معًا كمن يتابع حديث غرائبى عن الحب والأقدار والأمومة !..

كريمة تردف قائلة : لن أقول أنني لو كنت عملت بنصيحة ما ..

وتتنهد كريمة بثقلة وتدفع مرارة حبست صوتها وغيرت نبرته إلى حشرجة

في استطراد : ماكان كل هذا جرى ولما كنت هنا بتلك اللحظة وبهذه الثياب ولأول مرة تجهش كريمة بالبكاء وترتعش شفتيها كأنما تنادى على أحدهما قائلة:

ميمو كان يختار لي ماأرتديه في حفلات عيد ميلاده ! ففى مساء يوم ما تأهبت للذهاب مع والده لأقدم واجب العزاء لعمتى في وفاة زوجها ! أخذ ميمو يتأملنى بإستغراب وهو يتجنب الإقتراب منى وكأنى أرتدى الشوك !..فناديت عليه ميمو فتحرك في مكانه ولم يتقدم خطوة واحدة وسط ذهول محسن الذي أخذ يضحك ويقهقه وهو يقول الولد خايف من الأسود ياكريمة أول مرة يراك ترتدين ملابس الحداد!.. فتسمرت في مكانى ولم أنتبه أن الأسود يخيف ميمو ويجعله يتجنب عناقى وأنا خارجة من البيت على غير عادته ! وكرهت الأسود ولم ألبسه من يومها واليوم أرتدى الأبيض وأنا متهمة في قتله ليتنى يومها ذهبت بالأسود ولم أعد إليه وظل هو يركض حيا في الدنيا وبقيت أنا لدى عمتى تسقينى ما أعتدته منها لسنوات من يوم وفاة أبى وأمى في حادث إلى أن غادرت بيتها إلى بيت محسن فإن جحيم عمتى الذي مكثت فيه سنوات أهون على أمك من موتك ياإبنى ؟!.. عمتى سعيدة بكونى لا أنجب ! أبى كان قاسيا عليها ولكن ما ذنبى أنا ؟!.. وعلى الرغم مما تدرك ما تشعر بى إمراة في مثل ظرفى تسائلت كثيرا بينى وبين نفسى لما الشماتة ياعمتى ؟! حتى في مرات تركى للبيت وتعلم أني قصدت بيت خالتى كانت تفرح بشدة وتتصل بى لتحرجنى وتوبخنى وهي تتظاهر بأنها تنصحنى بأن أتدارك ما يصادفنى في حياتى وأبقى ببيتى مثل

الزوجات ولاد الأصول المحترمات!.. كم هي سعادتها الأن لما ألت إليه حياتى !..لم أقتل إبنى ياأنسة ..

وتنبّهت وسط ما تبوح به كريمة أنها تقصدنى مباشرة بحديثها فصمت وهنا أدركت ما للصمت من قيمة في مثل هذه المواقف فالصمت حكمة ورحمة عند تناثر أوجاع الأخرين على مسامعنا ! فبدلتها نظرة تظاهرت فيها بالشفقة فنظرت في عينى وقالت بحزم

كريمة: لم أقتل ميمو . مامن أم تقتل أبنها عن قصد .. فقاطعتها

صافي :ولكنها تقتل !

فأنكفئت على نفسها وقصدت جانب في الغرفة . وقالت بصوت واهن كريمة:عندما كان يقصد العملاء مكتب المحاماة الذي كنت أتدرب فيه قبل الزواج بمحسن كان الأستاذ الكبير محامى بارع مشهود له بالكفاءة والتميز صاحب ضمير حى وأخلاق عالية كانن تعرض عليه المبالغ الكبيرة من خصوم بعض الموكلين أصحاب القضايا الهامة كما كانوا هم أثرياء مقتدرون بالفعل تعرض عليه ومغريات أخرى ! فكان يردد دائما أن أمر إنفاق الأموال لن يحيره والمغريات الأخرى فالنفس وأن طالها الملل بفعل الشبع يعاودها الظمأ من جديد ولكن ما يعجزنى حقا هو أن أقف أمام القاضى وكان يبتلع حينها ريقه في شفقة وتلمع دموع في محيط عينيه وسط دهشتنا وترقبنا فيواصل حديثه قائلا: مطئطئ الرأس لا أشيح بيدى يمينا أو يسارا في زروة الحماس والثقة وأنا أعرض أمامه حجتى غير أبها بتلك المساحة التي تتيحها لي مقاسات البذلة وإمتداد أكمامها ولابكرافتى التي تشبثت بدبوس القميص في إحدى صولاتى بينما أحاصر محامين

خصم أحد الموكلين عندى والذى خرج من القفص بعد يوما واحدا لأحضان الحرية ليعانق الحياة من جديد غير مصدقا أنني قد إنتزعت برائته من بين أنياب جيش من محامين الخصم الأفاق الذي أراد أن يفلت إبنه من العقوبة ويلقى في السجن برجل بسيط يعول سرب من الأطفال وأبويه وزوجته الحامل في شهرها قبل الأخير ! ولكن لما لايدربون أبنائهم على أبسط

قواعد الأنسانية والمرور وهم يدفعون لإليهم بمفاتيح السيارات الفارهة ليلقى بعضهم حتفه في ريعان صباه مخلفا فاجعة حقيقة لوالديه أو أن ينهى حياة أحد المارة في لحظة جنون لتكريس صور للوعة والبؤس من حولنا لفقد جديد مفاجيء في دائرة ما غير بعيدة عن بيوتنا . وبللت دمعة خده الأيمن نعم الأيمن بينما إحتضنت اليسرى دمعة أخرى وقال بصوت متهدج وقد تمتم على ما يبدو بالبسملة مردفا أن الظلم لذنب عظيم .. أني أخاف يوم الموقف العظيم .

كان رجلا عظيما بحق تعلمت منه الكثير على قلة ما مكثت في مكتبه قبيل الزواج بمحسن محى الدين والذى كان محامى أحد الخصوم ولكن لم أعرف بذلك إلا يوم وفاة الأستاذ أحمد حماد يوم قصدت منزله لتقديم واجب العزاء لزوجته المربية الفاضلة كان لديه أسرة رائعة ولد وبنتين سافروا جميعهم للخارج الولد للدراسة ثم للعمل هناك والبنات واحدة تزوجت وسافرت مع زوجها والثانية للدراسة بإحدى الجامعات بولاية أمريكية أخبرتنى بهذا زوجة الأستاذ أحمد كما علمت كيف بدأت معرفة الأستاذ بزوجى والتى لعبت الصدفة دورها في أن يعرفنى ومن ثمة تزوجنا كتمت تلك المعلومة عن حقيقة محسن بكامل إرادتى فقد كنت أود أن أراه بداخلى

هكذا مثل الأستاذ فأحيانا يروق لنا أن نضيف لمستنا على الحقيقة المتعلقة بمن نحب لتقليل مراراتها علينا ! ربما شفقة على النفس أو لتفادى رد فعل ما بعد الورطة.سأخالف ما علمنى إياه الأستاذ وماؤمن به وسأعقد معك إتفاقا وإسمحى لي أحدثك بلغة أهل القانون !

فاؤمت برأسى موافقة والفضول يفترسنى وواصلت كريمة حديثها قائلة كريمة: لايهمك أنت تعرفى الحقيقة.. فقاطعتها بحزم

صافي :بل يهمنى ثم مأتى بى إلى سجن النساء وأنا لأول مرة أدخله وتحمل كل ماعانيته لأكون هنا أنت لاتدركين ما لهذا الحوار من أهمية كبيرة لدى فهو سيقرر مصيرى في القسم وبالتالى يؤثر على مستقبلى المهنى في الميزان كلها فأنا لظروف لادخل لي بها وللمزاج الخاص برئيس القسم كان يرفض شغل كثير لي من تحقيقات أقوم بها ولقاءات أجريها وأخبار أجمعها لاأريد أن أتجنى عليه في شيء ولكنه يتعنت كثيرا ويرفض النشر لأهون وأبسط خطأ ولا يكتفى بهذا فقط إنه يخص كل محرر بنصيب من التعنيف والتسخيف من جهوده وقدراته أمام باقى أعضاء القسم ظنا منه أنه بذلك يدفعنا بتقديم الأفضل ويدفعنا دفعنا لمستقبل أفضل ؟! هل هذه الطريقة الهادمة تقيم أو تدفع لأي نجاح ؟! ..أنه رجل مجرد القاء التحية عليه يستلزم جهد حقيقى !

ولن أطيل عليك في وصف وشرح حجم المشقة التي تكبدتها إلى أن وصلت إلى هنا ! على سبيل المثال لما قصدت موقف السيارات متوجهة إلى هنا لم أخبر أي سائق عن وجهتى فقد نزلت من محطة للثانية مرات لأصل بعد معاناة وتكبد دفع أجرة لاتختلف كثيرا في الأسلوب وتقدير القيمة عن الأتوات فقد أستغل السائقين جهلى بقيمة الأجرة لكل محطة !.. أرتبكت

لنظراتها وهي تنصت في ذهول وضيق غير مبرر بينما أسرد عليها ما مررت به حتى المجيء إلى هذا المكان لأسقط في حجرة حقيرة رطبة مطلية بلون الغبار معبئة بمزيج من رائحة البؤس واليأس والضياع !..وألتفت وهي تحرك رأسها متمتمة بكلام غير مسموع فتجاسرت وأقتربت منها وسألتها بحزم

صافي : إذن ماهى طبيعة ما ستخالفين فيه أستاذك ؟..فنظرت له برهة ثم تسربت ابتسامة على شفتيها كما

لمعت عينها ببريق صريح! وتسألت في نفسى !..

- من أين لابتسامة مفاجئة من قدرة على منح وجه شاحب حزين كل مباهج الربيع!

كريمة : سأقول لك ما يجعل رحلتك المضنية في الوصول إلى هنا يعود عليك بالفائدة ..

أريد عقدا أزرق من هناك قد أهداه إلى ميمو في أخر عيد ميلاد ميلادى وألبسنى إياه بنفسه

إحضرى لي هذا العقد؟!..

صافي: ولكن كيف أحضره لك وهو في بيت زوجك؟

كريمة: إذهبى إلى هناك قولى له ..وبإمتعاض وتتجنب تسميه أحدا هناك!

أخبريهم أن العقد في درج الكومود على الجانب الأيمن السرير بغرفة النوم

صافي : ولكن ماذا سأقول لهم ؟!.. ومن سيقبل أن يلبى لك طلبا بعد كل ما جرى؟!..

صمتت لحظة وقالت في ثقة

كريمة :هذا طلبى الوحيد إذا أردتى إستكمال ما جئتى من أجله إلى هنا .. فأنا لم أتكلم مع أيا من الصحفيين الذين أتوا إلى هنا كما أتيت

فقاطعتها بإستياء..

صافي : نعم أعلم ذلك ولكنى لم أكن أتوقع أن تساومينى على قبول اللقاء !..

تطلعت في وجهى ثم جلست بوهن لايناسب بنيتها الملئية بالشباب وصمتت تماما وأخذت أنا أدور في الغرفة أفكر في عرضها بينما شردت هي بعيدا ..

تخيلت لحظتها ما سأقابل من زملائى إن فشلت في مهمتى وخاصة رأفت هل أهدى إليه دليل صدق حاسته السادسة التي صدعنا بها؟!..أكاد أتخيل إبتسامته العصية على الوصف و الشرح في مثل هذه المواقف!.. شخص لايطاق بحق!..ماذا أفعل ؟!..

وألتقت عينى بعينها وأنا ألتفت فقالت وهي مازالت في مكانها جالسة ونظرات عينها حائرة وملامح وجهها متوترة على نحو ملحوظ !

كريمة : أنا متعبة كما ترين! وعليا الإنصراف خاصة وأن هذا وقت تناول دوائى

صافي : هل أنت مريضة؟

كريمة : بل ممزقة أتناثر إلى أشلائى باتجاه قلبى..

صافي : سلامتك .. وألتمس منك العذر إن كنت قد أثقلت عليك

كريمة بلطف وخيبة أمل في عينها قائلة في إقتضاب

:لا ابدا..

فقاطعتها ..

- ولكن

وقد قامت كريمة من مكانها مرة واحدة إلا إنها ترنحت قليلا فأسندت يدها بقوة على طرف المقعد الحديدى الأقرب لها خشية السقوط وعلى الفور تظاهرت بالقوة والتوازن وقد سيطر على وجهها علامات من يأس وحيرة ! أثارت فضولى وتسألت فيما بينى وبين نفسى

لماذا تريد عقدا من هناك؟! وعقدا قد أهداه لها ذلك الطفل المغدور به ؟! هل هو الندم؟!.. ربما

أنتبهنا على صوت طرقة على باب الغرفة وظهرت السجانة وهي تقوم بطرق الثانية والتى كان وجهها مهموما هي الأخرى ربما تتعاطف مع المتهمة ! و لما لا فأنا قد تعاطفت معها للحظات متكررة وإن كانت خاطفة

وتقدمت السجانة ووقفت لدى الباب وهي تنظر إلينا ثم لي بجدية معلنة إنتهاء اللقاء فخرجت من الغرفة وتوقفت بخارجها أنظر على كريمة التي تقف قبالتى مباشرة ..فقلت لها :

صافي : إن تمكنت من تلبية طلبك ستجدينى هنا مرة ثانية أطلب لقاءك والحديث إليك

ظلت كريمة تنظر إلى ولم ترد

***

عايدة تعلق ثيابه بجوار ملابسها تباعا وهي تخرجهم من الحقيبة الموضوعة على طرف سرير غرفة نومها ودموعها لاتتوقفها كلما أخرجت قطعة بعد أخرى تطوى غياراته الداخلية الملونة صغيرة الحجم وهي تتأملهم في لوعة ودهشة تحملق غير مصدقة وهي تحاول التماسك فتتنهد بقوة وتزفر بتحدى كمن يطارد خاطر ويقاومه إلا أنه ينتابها حالة من التوتر وفقدان التوازن وتطل من عينها نظرات صدمة وعدم تصديق وبينما تخرج أخرى فتسترعى أنتباهها قطعة من بينهم لقميص متداخل الألوان من الكارهات باللون الأصفرواللبنى بياقة حمراء فتدفن وجهها فيها وتجهش بالبكاء بحرقة ولوعة يبتل من دموعها القمص ويخرج صوتها مبحوحاوهى تنطق بأسمه بحروف غير منتظمة

عايدة : م حيى ..مح .. حبيبى

وتهجش في البكاء

يظهر أشرف قادما من الصالة والذى فضّل أن يتركها بمفردها بعدما أحضر أغراض طفلها من بيت والده بنفسه حسبما أتفقا عليه معها وذلك لتعبر عما يجيش من مشاعر وعواطف قد يزدحم بها صدرها وقف لدى الباب يتجنب النظر ناحيتها وهي تبكي ولكنه لم يقوى فهرول ناحيتها وأحتضنها بكل ذراعيه وأخذ يقبل شعرها وجبينها بتأثر وشفقة وعينه مليئة بالقلق والتوتر, وتدور عينه في الفراغ بحيرة وهي تبكي إلى هدأ قليلا فيجذب يدا يربت على ظهرها ومازالا يحتضنها بالأخرى ويرفع ذقنها بلطف ورفق ويتأملها في حنو وجدية معًا

أشرف : عايدة؟!..

فتنظر في عينه مباشرة وتومىء برأسها منصتة..

وفي رجاء وإلحاح ..

- أرجوك ..

إنتبهى لنفسك وصحتك علشان اللى في بطنك

***

عمة كريمة (فايزة جلال المحلاوى) تظهر لدى باب مكتب محسن متحفظة قلقة تقوم بدفع الباب الزجاجى التالى للباب الخشبى العتيق المفتوح عن أخره وفي وأثناء مروره في المكان ينتبه إليها حجاج الذي يتطلع في وجهها مرحبا وبترقب وهو يتفحص هيئتها الجادة وملابسها الأنيقة المحتشمة في وقار قائلا بترحيب

حجاج أهلا وسهلا

العمة : مساء الخير ..الأستاذ محسن موجود؟

حجاح : مساء النور .. الأستاذ موجود

ويلفتت إلى جانب مناديا..

أستاذة ندى؟

وتظهر على أثر النداء من الداخل شابة في اوائل العشرين ترتدى بدلة فضفاضة باللون الأزرق بقلابات مقلمة بالأبيض وتجمع شعرها عاليا بدبوس شعر فضي لامع ويتهادى بقيته على أكتافها من الخلف متخطيا الكتافين و تسير بخطى متوازية سريعة بعض الشيء

تنظر للعمة وهي تؤمى بالتحية بود..

ندى: مساء الخير

عمة كريمة : مساء النور

ممكن أقابل الأستاذ محسن ..هو ..

تقاطعها ندى وهي تهم بطرح سؤال أكثر إلحاحا..

ندى: أقول له من حضرتك؟

العمة : فايزة .. قولى له فايزة جلال المحلاوى

بلطف وحرج وهي تميل على دفتر المواعيد بجوارها على المكتب

ندى : واضح أنه ما من معاد مسبق ؟

العمة : أخبريه بأنى هنا .. قولى له فايزة المحلاوى

ندى : أوك ..تفضلي حضرتك .. سأبلغه فور إنتهاء لقائه وخروج الضيوف من الداخل ..تفضلي ..

تجلس فايزة في الانتظار ثابتة في مكانها واجمة مترقبة

وندى تجلس إلى مكتبها تستأنف عملها ..

وما هي إلا دقائق معدودة ويخرج رجلان من مكتب محسن فتهب ندى من مكانها باتجاه مكتب محسن والعمة تفرك في أصابعها بتوتر قلقة وتقترب ندى منها وبترحيب

ندى : أستاذة فايزة تفضلي حضرتك الأستاذ محسن بإنتظارك

فتقوم فايزة من مكانها تؤمى بإبتسامة خاطفة للسكرتيرة ومن ثمة تتجه إلى غرفة المكتب مباشرة

تطرق فايزة الباب لتدخل فيبادرها محسن بفتحه وهو يستقبلها بحفاوة مبتسما تتطلع في وجهه الشاحب وهيئته باهتة منطفئة وإن كان متأنقا على عادته إلا أن الأسى والحزن باديان على ملامحه وفي عينه تتطلع به فايزة بحنو وتأثر وتقول في صوت هادىء متهدج

فايزة : مساء الخير

محسن : تفضلي حضرتك

مساء النور

تفضلى .. تفضلى

ويشير لها محسن أن تجلس على الكنبة في جانب من المكتب ويجلس قبالتها على الكرسي الذي يجره بحيث يكون قريب من مكانها

فايزة تتنهد في أسى :

فايزة : جئت لمقابلتك هنا في المكتب ..لا أريد أن أزعج أختك !

محسن مقاطعا : أنا أسف عما بدر من أماني.. حضرتك

فتقاطعه

فايزة :كريمة رافضة تقابلنى يامحسن ؟

في كل ميعاد زيارة ظللت أذهب لرؤيتها و لكنها ترفض الخروج إلىّ

فلجأت إلى مقابلة مأمور السجن هناك بتوصية من معارف سيادة اللواء الله يرحمه ليجعلها تقبل وتخرج لي لكي أراها و أطمن عليها .. لكنها رافضة

محسن : وأنا أيضًا ..ذهبت إليها أكثر من مرة وترفض أيضًا

فايزة: و العمل ؟! ما هو الحل ؟ ستظل هناك؟! بالسجن؟!

وتظهر الدموع في عينها بينما محسن ليس لديه ما يقوله فقط عينه مليئة بالأسى والشفقة

فايزة : أنت تعرف كم كانت تحب كريمة أبنك و,,

مقاطعا في تأثر بالغ ..

محسن : أرجوكِ .. أرجوكِ يافايزة هانم

لا أحتاج إلى أن أعرف مكانة إبنى عندها فأنا أعرف ما كان يمثله لها

فتبسمت في إمتنان وتبسطت أسارير وجهها المتشنج من أسى وقلق يبدوان عليها ولربما رده جاء بمثاب إجابة على تساؤلات كانت ستوجهها له فقد طمأنها هذا منه للغاية إلا أن دمعة طفرت في عيونها ..

فايزة : كريمة ترفض مقابلتى وأعلم السبب

فينظر لها محسن متسائلا في إستغراب ولكنها تواصل حديثها وتطرح سؤالا فيصمت ويتراجع عن أن يسألها لما ؟!

فايزة بنبرة صارمة يعرفها عنها محسن الذي يفكر قبل أن يرد على اسئلتها وينصت لكل ما تقول ويفكر فيه!

وأنت لما ترفض أن تقابلك ؟ من إذن من سيقف معها ويدافع عنها ؟..من غيرك سيخرجها من هذه الورطة السوداء؟

محسن مستثقلا كلامها ولكنه يرد بإقتضاب

محسن: - للأن لا أدري

ويرى أن الرد غير لائق فيضيف على مضض

-ربما أنها لاتريد أن تتحدث الأن أو..

وتقاطعه ويختنق صوتها بالبكاء فيتطلع في وجهها بتأثر ويرمقها بشفقة مفضلا الإنصات إليها ويلزم الصمت ويقوم من مكانه ويقدم إليها كوب من الماء فتبتسم بود ولكنها تخرج منديل من حقيبة يدها تجفف به دموعها المنهمرة على خديها حارة بلاصوت

فايزة : كريمة عاطفية أكثر من اللازم و دائما ما كنت أخاف عليها من أن تورط نفسها من حيث لاتدرى كما هو الحاصل الأن

ويتلقف محسن ما قالت على مضض ويظل منصتا أمام دموعها الغزيرة وحالة الأسى والحزن البادية عليها

مسترسلة..

جاءتنى منذ شهر فقط وقبل حدوث ماجرى وأخبرتنى بنيتها تجديد بيت أخى أحمد .. بيت الأسرة ..هو بيت أبوها !أرادت إعادة إصلاح وتجديد البيت والحديقة هي الأخرى ..الحديقة كل أشجارها جفت في أغلبها والبقية تكسرت أغصانها وأصبحت مسألة الترميم .. تلعثمت فجأة وأخذت تمسح وجهها بالمنديل وهي تحاول إخبار محسن بشيىء ولكنها تتراجع مترددة..

-عندما فاتحتنى في مسألة تجديد البيت .. وقد تكون أنت تعلم بهذا .. بأن لي نصيب فيه بصفتى شريكة لها فيما تركه أخى بعد وفاته..

يطرق محسن سمعه وقد إتسعت حدقته وطاف خاطره لبعيد في دهشة وملئه الفضول كل هذا أخفاه بإلتفاتة إلى جانبه وهو يحك جاحبه مغمضا عينه يبلع ريقه في ترقب ..

-لا أريد منها شيء ولكن خمنت أن كريمة ستنفذ فكرتها القديمة والتى قد حدثتنى بشأنها منذ سنوات أثناء دردشة فيما بيننا وقالت أنها ستحول البيت إلى دار لرعاية المسنين ممن ليس لهم أبناء ولايوجد لديهم من يرعاهم وقالت أنها يمكن أن ترعاهم وتشرف مع أخرين في تحقيق ذلك!..

كانت مقتنعة بتلك الفكرة في حين أنني لاأريد أن يتحول بيت الأسرة الكبير إلى دار مسنيين !

محسن لايعقب فقط مازال ينصت ..

-كان عدى على الفكرة بتاعة الدار وتحويل البيت

وقتها أخبرتها برأيى وأمام إقتناعها التام قلت لها أن تؤجلها مستقبلا خاصة وأنها كانت متأثرة وأشارت بالحديث إلى نفسها متسائلة عنمن سيرعاها عندما تتقدم في العمر وتكبر وأمور كهذه بيد هي مازالت شابة ! لاأعرف لما تفكر في تلك الأمور السابقة لأوانها ؟!

محسن يبتلع ريقه وتلمع دمعة في عينه فيخفض رأسه وهو يذم شفتيه بجدية ليخف تأثرا ثم يرفع حاجبيه وينظر لفايزة منصتا وهو يهز رأسه..

فايزة : فلما قدمت إلى من شهر مضى وجدتها تفاتحنى بمسائلة ترميم البيت مجددا فرفضت وأحتديت عليها لأنها كانت مصرة إلى حد أستفزنى

فتركتنى ومشت من عندى وهي غاضبة ومستاءة وهذا على الأغلب هو سبب رفضها أن تقابلنى كلما ذهبت اليها في مواعيد الزيارة !.

محسن يشرد بعيدا محاولا ربط بعض الخيوط في ذهنه بعضها ببعض وهو يحملق في الفراغ غير عابىء بحالتها ولا بما إعتبرته عمة كريمة سببا جعلها ترفض رؤيتها

فايزة وهي تمسح دموعها

-أخبرتها أن البيت سيكون لواحدا من أولادى

وأن نصيبك به سأقوم بشرائه منك وكتبت لها شيك بالمبلغ حسبما ثمنه احد سماسرة العقارات

يتنبه محسن من شروده فينظر لفايزة في ذهول ويهبط حزن ثقيل عليه في نظرته وايمائته وإنحناء كتفيه ونظرة عينه مستشعرا بما مرت به كريمة في هذا الموقف من إنكسار وهزيمة منكرة لعواطفها الجياشة وحساستها المفرطة موقنا بحقيقة كون عمتها قاسية أكثر مما خمن من طبيعة علاقتها بكريمة وصمت كريمة الطويل في جلساتها معها في المرات القليلة التي كانت تزورها في بيتهم وملئه شعور عميق بالضيق لاجلها والشفقة عليها

بعد صمت لبرهة يبتلع محسن ريقه بغصة وصعوبة وبجزم متسائلا

محسن :شيك؟!

فايزة في وحرج وهي تؤمى بالإيجاب ..بينما محسن ذهب فكره لبعيد وبدت عينه تدور في كل إتجاه

-عندما بكت .. أخبرتها بثمن البيت ولها أن تأخذ نصيبها ..قائلة لها أنني لن أترك بيت عائلتى يتحول لدار مسنين ياكريمة ولكنها ظلت تبكي ثم قامت وتركتنى أنادى عليها ..

فقاطعها على الفور محسن متسائلا في جدية وحزم ..

محسن: أين هو هذا الشيك؟

فايزة : معى هناك بالبيت

محسن : إتركيه معك وارجو أن تقدميه في النياية لان هذا سيدعم ويقوى من موقف كريمة في القضية

فايزة في ذعر وإضطراب

-ستجعلهم يحققوا معى ؟

محسن : ولما التحقيق معك يافايزة هانم ؟ ..سيتم تقديم طلب لأخذ إفادتك من جديد على أن تخبريهم بأمر الشيك وحديثها معك ومنذ شهر مضى أن تجرى عملية ترميم للبيت ثم رغبتك في شرائه وتحرير شيك لها بقيمة نصيبها فيه

تنصت مترقبة تحاول أن تفهم وبالفعل تهدأ قليلا وقد أدركت ما يقصد بيد يبتلع هو ريقه في غصة وتظهر الدموع في عينه وهو يتكلم بمرارة

محسن: ابنة أخيك كانت ستتركنى وغالبا أنها كانت ستقيم في بيت والدها وهذا يوضح أنها ..

فتقاطعه فايزة فيما أقرب لصدمة صارخة غير مصدقة وقد أدركت ما حدثت..

فايزة: ما معنى أنها كانت ستتركك ؟

محسن: كريمة طلبت الطلاق

تبتلع فايزة ريقها وتحملق في محسن وتمتلاء عينها بالأسئلة والحيرة والأسى

فايزة: كريمة كانت تريد ترميم البيت لتعيش به

وترتعش شفتيها وتفر الدموع من عينها بلاتوقف وبصوت مشروخ

-لم أكن أعرف السبب ..لما لم تخبرنى ؟!

ولاول مرة وينفجرمحسن فيها غاضبالائما

محسن: لو كنت تعاملينها وكأنها أبنة أخيك ولا أقول مثل أبنتك لكنت عرفتى ولكانت هي أخبرتك بخصوصياتها وأستعانت بك وألتمست مشورتك في مسألة هامة مثل هذه !!..

فايزة: محسن؟!

محسن: في حرج:

-لما كنت تقسين عليها لهذا الحد ؟!

وتقاطعه مستشعرة بمدى فداحة ما فعلت ولكن أسترعى أنتباها اكثر مسالة الطلاق ..وفي دهشة وإستغراب ..

فايزة: ولما طلبت الطلاق ؟!

محسن: لأنى لا أستحقها يافايزة هانم

فايزة تغطى وجهها بكفيها وتبكى بحرقة

***

بعد ساعات من الإستغراق في النوم العميق إستيقظت على صوت المنبة الذي قامت بظبطه والذى دق في تمام الساعة الثامنة فأزاحت الغطاء وتركت سريرها وأغلقت المنبه الذي مازال يصدر رنينا ووقف في منتصف الغرف تتمطى تدفع أخر فرصة للكسل وهمت بالخروج من الغرفة وقبل أن تمسك بمقبض الباب أستدركت شيئا في نفسها فطأطت برأسها في إمتعاض ثم في إستسلام وتفهم تام بدا أقرب إلى الإعتياد فتحت الباب في هدوء ثم ردته مرة أخرى وجلس إلى مكتبها الصغير في جانب من غرفة نومها تعبث في شعرها تسوى بأطراف أصابعها خصلاته مدفعة بإصرار وهمة تمسك أوراقها تفتحها وبيدها الأخرى القلم في محاولة منها القيام بتدوين وكتابة شيئا في أوراقها عبثا بعد عدة محاولات منها فقامت بدفع الورق بغيظ كانت تريد إعادة تفريغ التسجيل وإعادة كتابة كل ماورد أثناء لقائها مع المتهمة اليوم ! فهبت في مكانها

متجهة ثانية إلى باب الغرفة فتحته وخرجت تاركة إياه مواربا وتعبر الصالة بإضاءاتها الخافتة والسكون التام وتهمهم في تأثر وحيرة معًا

صافي : نائمة ! ..كم وددت لو تظلين للعاشرة أو للحادية عشرة أو لبعد منتصف الليل بساعة واحدة أو بنصف ! متى سنسهر سويا نشاهد فيلما معًا أو نتحدث عن ما فعلناه بنهار يومنا ..كيف لم يتغير نظامك هذا بعد فترة قليلة من سفر أبى ؟!..

أبقى متيقظة لبعد العشاء بدقائق ياأمى ؟!

تنهدت في ضيق ودخلت إلى المطبخ وأعدت لها كوبا من الشاى المحلى على عادتها بثلاث ملاعق من السم الأبيض !.. هكذا تسميه فهي ترجع غرامها بالسكر إلى جدتها التي تأثرت بها كثيرا وتطمح إلى أن تكتسب بضع كيلو جرامات من الدهون تعين به هيكلها العظمى على الصمود في شتى المواقف خاصة أمام برد الشتاء إذ يقال أن أصحاب القوام الممتلىء لاينال منهم البرد مقارنة بذوى الوزن النحيف بمن هم في مثل وزنها فهي ترى في إكتساب بضع كيلو جرامات من الدهون مكاسب متنوعة أبرزها ما يتراءى جليا عند التواجد في محل لبيع الملابس فتجد مقاساتها تقع في أرفف تعرف بأسم المقاس المحيّر الذي على حسب وصف البائعات أنه المقاس الذي يقع بين أخر مقاس مخصص للأطفال وبين أصغر مقاس للأنسات ! فهي تود لو تتخلص من ذلك التصنيف لمقاس ملابسها كما أنها لن تنسى أزمتها المتجددة مع كل حفل خطوبة أو زفاف في محيط الأسرة أو لدى المعارف والأصدقاء إذ يترسخ في كل مرة كراهيتها للمرايا كل مرآة تعكس هيئتها وهي تقيس فستان سواريه!..

تدندن مع كلمات الأغنية التي تنبعث من دمية على هيئة دب أبيض اللون ممسكا بوردة حمراء أعلى صدره وتمتد يديه ممسكة بطرفيها يبدو هوجهازا لتشغيل الأغانى وتنبعث منها الموسيقا وصوت أنوثى رقيق وحالم تشدو في عذوبة ..

تصدق بمين

بعدنا وياادوب معداش يومين

وجتلك قوام لقيتك وحشنى وحشة سنين

تصدق بمين

أنا وقلبى كنا مش دريانين

وهي ترشف من الشاى بتلذذ ثم تضع الكوب الذي يتصاعد منه البخار جانبا

و تضرب سطح المكتب بقبضة يدها بقوة ويمتقع وجهها صارخة وهي تغمغم

صافي : كيف أحضر لها عقد من بيت زوجها الذي قامت بقتل إبنه ؟.. ماذا لو ذهبت وتعرضت للإحراج وربما الطرد الفورى

ما أصعب أن أستشير رأفت في ماذا أفعل في مثل هذا الموقف الشائك والعصيب فمستقبلى على المحك ولكن من الصعب على نفسى حتى أن أخبر أحدا بأنى متوترة وقلقة ولاأدرى ماذا يتحتم علىّ أن أفعل فترشف

من الكوب رشفة أخيرة ثم تضعه على المكتب في عجالة وتلملم بعض أوراقها المتناثرة على الأرض وتعاود الجلوس إلى مكتبها وتمسك القلم وبحزم تكتب في منتصف الورقة السؤال الذي كانت لتطرحه لو قامت بإستشارة احدا..

هل أحضر لها العقد وأقوم بعمل اللقاء؟

صافي: ولما لا وهو عقد لن يقدم أو يؤخر ربما مرتبط بلاشك بشيىء لديها

فهي قالت أن الطفل القتيل قد أهداه إياها في عيد ميلادها الفائت أي قبل وفاته بأيام!

غريبة تلك المرأة حقا كيف تبدو بهذه الوادعة والرقة واللطف وتقدم على قتل نفس برئية قد إستأمنها أبوه عليها؟!

العجيب أنها لاتنجب فهل هذا سبب حقدها على الولد وعلى أمه التي تزوره كما ذكرت فقامت بالتخلص منه ؟أم لأن وجودها والطفل في بيت واحد يشعرها بمسألة عدم قدرتها على الإنجاب؟.. هل حاولت أن تتعالج مرات وفشلت ؟!. فساءت حالتها النفسية وتخدر ضميرها فأقدمت على الطفل؟!

ثم كيف أذهب إلى هناك وأطلب عقد من زوجها وأقول له أهلا ..هل لي بعقد زوجتك التي قتلت إبنك فهذا طلبها وعلينا تلبيته لها ! وهذا بالطبع مقابل أن أجرى معها اللقاء ؟!.

هل أكون ساعدت في تحقيق جانب من العدالة بجعل المتهم يندم بشدة على فعلته ؟!.. فبإحضار العقد وإعطاها لها تدخل في دائرة ندم كبير ومن ثمة

التطهير مما إقترفت لاسيما وهي لامحالة ستعدم ؟ هل حقا سيحكم عليها بالإعدام؟.. بلاشك

إذن ما جدوى العقد !.أنها نادمة بلاشك ويمكن أن يكون هذا العقد أخر ما تراه وتضمه من متعلقاتها خاصة وأن الطفل المقتول هو من أهداه إليها ! وما شأن جلب العقد لها بالعدالة ؟! فالعدالة ستحقق بالفعل وتحاكم على جريمتها !.. هل أنا أتحايل لأقتنص إجراء اللقاء بإيجاد حجة ومبرر بأى شكل ؟!..

وترشف رشفة أخرى من الشاى معاودة ..

- رأسى سينفجر من التفكير والحيرة!.. نعم الحيرة..

ثم لما سيطرت الحيرة على نظراتها ولما كان اليأس عندما لم تجد ردا بالموافقة منى على مساومتها لي بأن يكون العقد مقابل اللقاء؟!..هل هي لاتتوقع أنها ستعدم ؟ كيف وهي قانوينة وتدرك حجم مافعلت ونوع العقوبة أيضًا..

على أن أوقف دوامة الأسئلة هذه وأقرر ماذا سأفعل..

أحتست كوب الشاى ووضعته على طرف المكتب ثم أمسكت بالقلم ورسمت خطوط متداخلة بالقلم ثم دوائر متداخلة ومثلثات بأشكال معتدلة ومقلوبة فدوائر ثم خطين عميقين من أقصى طرفيها من أعلى لأسفل يتقابلان بمنتصف الورق فتتمزق لتتوقف صافي وتعلنها بهدوء وحزم قائلة

صافي : سأجرى اللقاء.

لن أنوّلها لرأفت أبدا وسأحضر لكريمة العقد وغدا!..

***

ظهيرة يوم خريفى أخر ساحر أيضًا وملهم وأخاذ حرارة ناعمة وهواء منعش هادىء هامس وسمشه ساطعة تتوارى في الأفق قطع صغيرة ومتفرقة من الغيوم

أستقلت ترام الميرغنى ومنه أخذت تاكسي وأخبرت السائق بالعنوان هكذا أختارت أن تتوجه إلى البيت فضلا عن الذهاب لمقابلته في مكتبه الكائن في الشارع المواجه مباشرة للميدان على الرغم أن المكتب أقرب إليها وبالترام وكلنها فضلت أن تقابله في منزله وبعد مسافة أستغرقها التاكسي في ربع ساعة وجدت نفسها أمام بوابة الفيلا مباشرة فدخلت من باب الفيلا الموارب بعدما أذن لها الحارس الذي تفحصها بجدية أقرب إلى السماحة وهي تمد يدها بالكارنيه الخاص بها قبل أن تعبر إلى الداخل من جواره وظل ينظر عليها حتى إقتربت من الباب ثم إستدار هو هدوء يعبر البوابة إلى الشارع في تلقائية ملحوظة ربما ليقضى غرض ما.

صافي لدي الباب وتظهر إحسان لتبلّغها في إقتضاب شديد أن محسن غير موجود فتلح عليها في الرد على سؤالها عن موعد تواجده في المنزل وهل يمكن أن تعطيها عنوان المكتب ولكن مديرة المنزل تنهى حديثها بإبتسامة باهتة وتغلق الباب على الفور . تستشعر صافي أن مهمتها تزداد صعوبة ولكنها تقرر العودة ثانية ربما تعثر على زوج كريمة وتحدثه بخصوص أخذ العقد الأزرق بناءا على إلتماس زوجته وتسير على الممشى وهي

تداعب أغصان الشجر المتدالية من حولها في الحديقة تتسأل في فضول ما الذي يدفع رجلا بتلبية طلب من إمراة قتلت طفله الوحيد؟!.. لو أن احدا غيره وفاتحته في أمر العقد لقتلنى رميا بالرصاص من فرط الغيظ !

أظنه سيكون جينتلمان معى ولن يتصرف معى بعصبية أو بغلظة وإن كنت ألتمس له العذر مسبقا!..

لحظات وتسمع صافي وقع خطوات تأتى من خلفها تلتفت لتجد رجلا وسيما ومتأنقا عليه مهابة قادما بخطى واثبة في إستفار يبدو أنه في عجلة من أمره عليه مهابة فتتوقع على الفور أنه هو محسن محى الدين ولكن لما أنكرت وجوده مديرة منزله ؟! فتتوقف صافي في مكانها وتتلاقى عينها بعين محسن الذي يقترب بإتجاهها قاصدا الباب ليتفاجىء بوجودها في حديقة منزله فتبادر صافي بإلقاء التحية عليه وهي تتلعثم

صافي:الأستاذ محسن المنصورى المحامي ؟!

محسن : أهلا وسهلا ..وهو يتطلع لها في ترقب وإستغراب

وقبل أن يستوضح عن هويتى أخبرته بأنى صحفية فأمتقع وجهه على الفور وهم بالإنصراف مسرعا لولا أني أوقفته بجملة واحدة

صافي : العقد الأزرق..

فالتفت على الفور وإذا به يتحول لشخص أخر تمتلاء عينه بحنين خفى يتبعه ريبة وفضول ويتوقف أمامى مباشرة وكأنه يمنعنى من التحرك

محسن : من أنت؟!

صافي : أنا صحفية وقد كنت في مقابلة مع المتهمة أمس بالسجن؟!

أغمض عينيه في أسى وهو ينتظر على مايبدو مواصلة بقية حديثى ولكنى صمت إحتراما لما بدا عليه إذ يبدو وبلاشك أنني فتحت نافذة أوجاعه لفقد أبنه الوحيد على يد زوجته

حتى أنني تحاشيت أن الفظ بأسمها حتى لاأتسبب في أي ضيق له

وبنفاد صبر تأمل وجهى فأسرعت بالإفصاح عن مهمتى فقلت له:

صافي: أنها تريد العقد الازرق الذي أهداه طفلك في عيد ميلادها ..بينما تجاوز هو كل ماقلت

محسن : لقاء ؟ ماذا قالت فيه؟.. ولما طلبت منك أنت إحضار هذا العقد؟..

وأمام إرتباكِى من تلاحق أسئلته والجدية التي يتكلم بها وقد أستشعر هو أن المكان غير ملائم لمواصلة حديث بهذه الأهمية كما بدا لي منه كما أنه مهم بالنسبة لي أيضًا لعلى أتوصل لموافقة منه لجلب العقد للمتهمة ومن ثمة أجرى حوارى الصحفى معها..

إلا أنه باغتنى بسؤال

محسن: هل أنت من كان يرن الجرس منذ قليل؟!

فاؤمت بنعم فقال في بحرج

محسن: معذرة .. لقد أبلغتهم رفض الزيارة من أي أحد و منعت الحديث في هذا الموضوع بتاتا..

فأظهرت له تفهمى بابتسامة مقتضبة ومؤيدة ورحب بى ومن ثمة طلب العودة إلى الداخل لنواصل حديثنا فأنحنى جانبا وأفسح لي الطريق بحيث أسبقه إلى الداخل فبدا لي كما توقعت من أنه جنتلمان حقيقى وهذه أول مرة يصيب فيها توقعى بخصوص رجل !

وعندما وصلت قبله إلى الباب أفسحت له ليتولى أمر دخولنا فمد في هدوء ذراعه من الجهة المقابلة لمكان وقوفى وقام برن الجرس لتفتح مديرة المنزل ثانية لتجدنى أمامها بصحبة محسن فنظرت لي بدهشة وحرج ويرحب بى محسن ويشير لي بود لأدخل

محسن: تفضلي ياآنسة ..؟

صافي : صافيناز على شعبان

فتطلع في وجهى بشيىء من الدهشة!..

في لطف .. محسن :تفضلي.. وتجنب التلفظ بإسمى ولا أدرى لما ؟!

وسار على جانبى لمسافة كبيرة إلى الداخل وتسألت في سرى متى نصل للصالون إذن ؟!.. ولمحت دون أن ألتفت أو أتأمل عن كثب مدى فخامة الأثاث والذوق الطاغى وراء كل هذا التناغم والإنسجام في أركان المكان ولكن يعشش صمت مربلك بفضاء المكان ومسحة من الكأبة رغم كل مظاهر الجمال والترتيب والتنسيق وجلسنا في الصالون وألتفت لي وسألنى ماذا أشرب فشكرته وأنا أبتسم ولكنه ألح علي فطلبت فنجان قهوة سكر ذيادة بينما هو طلب عصير ليمون !.. فدلفت مديرة المنزل إلى الداخل ولف المكان لحظة صمت طويلة قطعها محسن بنظرة يتفحص بها وجهى

ولاأدرى كيف إنطلقت عباراته المرتبة ووجهه ثابت على منتصف وجهى ووجهه في محازاة وجهى وتكاد عينه لاتطرف وهو يقول

محسن: ماالذى أستهوى بنت في سنك الحديث بعمل لقاءا صحفيا في قضية هزت الرأى العام على مدار شهرين ولم تهدأ إلى الأن ؟!..وتقريبا كلنا ينتظر ماستقضى إليه المحكمة من حكم بصددها؟!.. وقبل أن أنطق أردف متسائلا وهو ما كنت أراه كان الأنسب ليبدأ به سلسلة أسئلته التي أتوقع ألا تنتهى!

إبتلعت ريقى وقبل أن أنطق فوجئت بمديرة المنزل قادمة تحمل القهوة والليمون فوضعت الصنينة على الترابيزة أمامنا وقد أبعدت وردة كبيرة مثبتة في تحفة من الزجاج كادت تسقط من بين يديها ربما وضعت بدلا من فازة وحقا منظرها بديع وملائمة أكثر من لو كانت فازة ولمحت ملامح وجهها وقد هدأت وأنبسطت لتظهر وجه ملامحه واضحة ترتسم عليه ظل طبيعة حالمة وقلب عامر بالمحبة والرأفة وعيونها صافية ببريق باهت بعض الشيء ! وتنظر لمحسن بود منتظرة أن يوجه لها حديث ربما أو يطلب شيئا فلما أبتسم لها وهو يهز رأسه بالنفى مالت للأمام ثم ألتفتت متجهة إلى الداخل ثانية بابتسامتها العذبة المثقلة بشيىء ما. ثم إنها ليست الوجه الذي فتح لي الباب أول مرة ! لما يغلب الجمال واللطف كل ما تقع عليه العين لولاها مسحة الحزن وغبار الحسرة والأسى حتى على الأثاث !. هل يهىء لي ذلك ربما ووضعت فنجانى بعدما إحتسيت القهوة ..طعم القهوة رائع أكثر من المعتاد في هذا المكان !..محسن لم يشرب سوى رشفة من الليمون وظل ينظر أمامه حتى فرغت من قهوتى فالتفت ناحيتى ما أن وضعت الفنجان الفارغ على الصنية وأناأتأمل الوردة الكبيرة في عجالة

وعدت مكانى وأستندت للخلف ووجدت محسن يولى جل إهتمامه وأتجه بجسده ناحيتى وهو جالس في مكانه .. بادرت بالرد على أسئلة فضلا عن أن يكررها ثانية على مسامعى!

صافي : عمل لقاء صحفى في جريمة هزت الرأى العام بالنسبة لصحفية هي فرصة ذهبية طالما أنتظرت مثلها !

قاطعنى متعجبا ..

محسن :فرصة وتنتظريها؟!

إرتبكت قليلا وتنبّهت لكلماتى فالحماسة والإندفاع في الحديث عن طموحى مربك في ظرف كهذا بلاشك

وتراجعت وخفضّت من نبرة الحماس في صوتى الذي لم يحسن إختيار الوقت

صافي: أقصد أن هذا اللقاء مهم لي وسيضيف لي كصحفية تعمل في قسم الحوادث بجريدة جديدة نوعا ما و تسعى للإنتشار وجذب القراء

هز رأسه متفهما وأن بدا في عينه ضيق مكتوم غلفه بالتشجيع

في استطراد..

محسن :كريمة وافقت تعمل معك حوار بكل أريحية وطلبت أن تأتى لها بالعقد؟!..

ولم أتوقع أن يبادرنى بهذا قبل أن أقوم بالرد على إسئلته السابقة

فتلعثمت وبكل صدق قلت

صافي : لم تجرى معى لقاءا صحفيا بعد!

فأنتبه إليّ بكل مافيه وقد تهلل وجهه لسبب غير واضح وقال بحزم وتشجيع محسن :وما كان ما تم بينكم إذن ؟ وكيف تطرّقت إلى طلب العقد؟!

فقلت له أن قد قابلتها بالفعل ولكن المتهمة قد أبرمت معى إتفاقا

فهب واقفا مرددا

محسن: إتفاقا معكِ؟! حول ماذا ؟!.. ماذا تقولين أنتِ ؟!.. زوجتى تعقد إتفاقا مع صحفية في جريدة مغمورة ؟

فأنتفضت واقفة أنا الأخرى وقد غضبت بالفعل من تقليله من شأنى على هذا النحو فتمالك نفسه وبادر بنبرة معتذرة مختصرا ما يوضح به مايقصده

محسن : إنها قد رفضت مقابلتى أو الحديث معى!..

فهدأت وألتمست له العذر فيما تفوه به وجلسنا سويا فيبدو أن المسألة أكبر من مجرد المجىء إلى هنا ومن طلب ذلك العقد الازرق !..وبادرته أنا هذه المرة بالسؤال

صافي : ولماذا ترفض الحديث معك؟!

فتنهد ببطء كمن يزيح حجرا وأعتدل في مكانه !..

محسن: وهذا بحد ذاته غريبا! .. لا أدرى وربما أدرى!.. ولكن المؤكد أنها مازالت ترفض إلى اللحظة أن تخبرنى بما جرى ليلة الحادث

فأندهشت وعلى الفور قلت له..

صافي : كل ماحدث عرفّه الجميع من خلال مما نشر الصحف

محسن : ولكنها ليست الحقيقة

صافي : ليست الحقيقة كيف؟ ألم يقتل طفلك بالسم على يد زوجتك التي لاتنجب لأنكم كنتم بصدد الإنفصال ؟

فأرادت أن تنتقم منك بحرمانك من طفلك ؟!..

لم يرد ولم يبدو على وجه محسن أي ردة فعل فقد شرد أو تعمد هذا!..فكررت عليه

صافي : أليس هذا ما قرأنه وعرفناه جميعا!..ما الذي يدفعك لعدم تصديق أنها من قتلت طفلك ؟!

هل يؤخذ ملاك صغير بذنب رجل وصل الحال بينه وبين زوجته إلى الطلاق ؟!..

قاطعنى في هدوء ..

محسن : على ماذا إتفقتى معها؟

قلت على الفور وقد سيطر الغضب علي كلانا فأخبرته أنها قد ساومتنى فهو بلاشك فور علمه بأنه ستتحدث وتقول كيف أرتكبت جريمتها تفصليا فأنه سيقبل إعطائى العقد

صافي : طلبت منى أن أجلب لها عقد أزرق في مقابل أن تسمح لي باجراء حوارا صحفيا معها على أن تخبرنى فيه بكل شيء عن تفاصيل الحادث

يمتقع وجهه ويغمض عينه بحسرة ولوعة ثم في حزم وجدية بصوت متأثر

محسن : كل شيء ؟!.طالما أختارت هي أن تتحدث معك وتخبرنا بكل ماجرى سأعطيك العقد بنفسى ..

وتركنى وخرج من الغرفة وسمعت صوت أقدام تصعد درجات سلما بالجوار هو محسن على ما يبدو وقد صعد لأعلى ربما! وفجأة ظهرت أمامى مديرة المنزل فأرتعدت في مكانى وقبل أن أنطق بكلمة كانت قد غابت من أمامى ففركت عينى لاتأكد أني لا أحلم ولاحت لي في عينها نظرة فضول كمن ود توجيه سؤال ثم تراجع ,بينما صوتها الأقدام تهبط بنفس السرعة السابقة التي صعدت بها وظهر محسن أمامى من الزاوية المقابلة لما أطلت منها مديرة المنزل قبل أن يبتلعها فضاء البيت الكبير ودونما أن تترك خلفها همسا ينم عن وجودها بأى جانب من هذا المكان !..

وقف محسن لدى الباب قبالتى فهممت بالوقوف أتحقق من أنه هو ! يمسك بيده كيس رقيق شفاف من الدانتيلا الملونة متوسط الحجم كان مربوطا من أعلى بفيونكة ستان حمراء مفكوكة ومن يده نقل إلى راحة يده الأخرى عقدا طويلا نوعا ما فاض بحجمه عن كفه حباته غليظة لونها أزرق زاهى

وأأخذ مامعه وتوجه إلى جانب من الغرفة وقام بفتح درج مكتب صغير وأخرج علبة من القطيفة السوداء وقبل أن يضع العقد بداخلها بينما يسير بإتجاهى مد يده إلى مستوى نظرى بالعقد وهو يحركه قائلا..

محسن : ما أن تنهى حديثك معها أتصلى بى .. سأعطيك كل أرقامى وعنوان المكتب لتخبرينى بكل ما قالته لك حتى قبل أن تخرجى من مبنى السجن .. وفي حزم شديد .. : بل سأنتظرك بالخارج ونتحدث معًا بعدما تنهين لقائك معها

وتأملنى في إمتنان وأنا أضع العقد في العلبة قائلا ..

محسن : سيكون لديك بعد غد جوابا على السؤال الذي قد يدفعنى إلى حافة الجنون إن لم أتوصل أعرفه ..

منوها ومتسائلا : إن موعد الزيارة القادمة بعد غد ستذهبين ؟.. ترددت للحظة وأنا أستشعر وجود العلبة وبداخلها العقد بين يدى فأجبت على الفور صافي : سأذهب بالتأكيد

بإلتماس مغلف بشيىء من الخشونة والتسلط قائلا في حزم مفرط..

محسن: مانوعية الأسئلة التي ستطرحينها عليها ؟.. هل يمكننى أن أرشح لك بعضا منها ؟!..

فقاطعته في إستياء ..

صافي : هذا عملى وأنا على دراية تامة به

وأستاذنت منه لأذهب وخرجت من الباب دونما تظهر أمامى فجأة مديرة المنزل!..

***

بعد نوم متقطع في ليلة هاجمنى فيها الأرق أستيقظت باكرا فأرتديت ملابسى في عجالة وأنا أقضم أخر قطعة من سندوتش ضخم عودتنى أمى منذ الصغر على أن ألتقمه ليستقر في جوفى الملتصق بظهرى لتستحثنى على فتح فمى بكامل إرادتى كل صباح لتناول أي طعام تحت تأثير هذا الوصف الفريد! متى تصدق أني قد كبرت ربما عندما ترى جوفى يبعد لمسافة ترضى عنها بعيدا عن ظهرى! ..وقبل أن أخرج تأكدت ثانية من وجود العقد في علبته بداخل شنطتى وحملتها وذهبت لأحق موعد الزيارة وبالفعل وصلت في موعد الزيارة وتوافد أهالى المسجونات على مبنى السجن ولكنى لم ألمح محسن بالخارج وعندما حان الوقت المقرر بدخول الزوار قام الحراس بفتح البوابة المخصصة لهم فمددت يدى بالكارنيه وملت ناحيته وأبلغته بطبيعة الزيارة فأشار لي بالدخول من نفس الباب الذي دخلت منه في المرة السابقة متجهة مباشرة إلى مكتب المأمور والذى ما أن رأنى تطلع فيّ لبرهة وهو يتفحص هيئتى ولكن زالت الرهبة بداخلى من مقابلته هذه المرة ومددت يدى في ود وأخذت من يده التصريح بالموافقة للمرة الثانية وملت برأسى بالتحية وأنا أبتسم فأؤمأ من مكانه برأسه وعاود إستئناف عمله بينما وخرجت مباشرة من المكتب لأجد السجانة لدى الباب والتى إصطحبتنى في الممر الطويل إلى أن توقفت بى قبالة مكان الزيارات والذى كان مكان غير السابق وهو مخصص أيضًا للزيارة إلا أنه لايوجد أحد كما أننا لم ندخل فقد كان الباب الحديدى الكبير

مؤصد تماما والمكان غارق في الصمت المشوب بالحذر والهواء خانق باردا وثقيل ووقفت أنتظر قدوم كريمة هكذا ظننت أننا سنقف خارج مكان الزيارات المغلق ولكنى تنبهت للسجانة التي تفتح الباب في تلقائية وتأنى معًا ثم أشارت لي بكفها الكبير أن أدخل فدخلت لا أدرى أأتجه مباشرة إلى غرفة أم في أبقى في الإنتظار بين الغرف ولما وجدتها لم تخبرنى بما أفعل والمكان خاليا إلا منا فجلست على أول مقعد خارج الغرف ذات الأبواب الحديدة المفتوحة على فراغ من أي أحد بالداخل وقمت بإخراج

الورقة التي كتبت بها الأسئلة التي سأطرحها على كريمة لاراجعها كما أخرجت المسجل وتأهبت لبدء الحوار المرتقب ولكننى أبقيت على العقد الأزرق بالداخل حتى تأتى ..

مرت نصف ساعة ولم تأتى وأنا لاأكاد أسمع همس بالمكان ولابالجوار فعاودنى نفس الشعور الذي داهمنى في بيت محسن بأن كل ما حولى وقتها ربما حلما فلملمت أشيائى وأعادتها إلى حقيبتى وتوقعت أن أنتظر أكثر لولا أني سمعت صوت أقدام في أول الممر المؤدى لهذا المكان وثوان وظهرت كريمة وعلى وجهها دهشة مختلطة بالفرحة ولا ادرى لما!..

كريمة: صباح الخير ياصافى

صباح النور يا.. ياكريمة

وأشارت لنا السجانة التي أرشدت كريمة إلى أن نتجه إلى غرفة وتوجهنا إليها سويا على الفور أنا وكريمة قمت بإخراج علبة العقد من الشنطة وعينى كريمة تراقب يدى التي هيىء إلى أنها ترتعش وترتجف مثل قلب كريمة التي تلاحقت أنفاسها تزدرد ريقها مرات بصعوبة وتتحرك عينها

تحت جفونها وترمش مرات سيطرت عليها حالة أقرب لمن سيفقده الوعى ألأنها أدركت أني قد جلبت لها العقد !.. وإلا لما أتيت إلى هنا ثانية !.. إستندت إلى الجدار وبدأت تتنفس بعمق ومن جانبى تراجعت عن أن اقول لها أجلسى قليلا ولما هدأت وإستعادت نفسها نظرت في عينى فمددت يدى إليها بالعلبة فرمقتها بضيق ولما فتحتها ورأت العقد مستقر بداخلها أمسكت به و أفلتتها فسقطت أرضا في لامبالاة منها وقبضت عليه في لهفة وراحت تقبل حبات العقد وأمسكته بزاوية مائلة كمن يستحضر مشهد في ذهنه وهي تتبسم والدموع تنساب من عينيها بلاتوقف وأخذ قلبها يخفق بشدة وأنفاسها تتلاحق وبدأت بالبكاء الشديد ثم بنشيج متواصل فخشيت عليها وهزتنى حالتها تأملها في ذهول وداخلنى لاول مرة شعورا بالشفقة عليها ولما هدأت قليلا وجدتها تلبس العقد على دورين متدليا إلى منتصف صدرها وبدأت بالتجهيز لبدء الحديث وبدورى قمت بفتح المسجل وأمسكته بيد وفي الأخرى ورقة الأسئلة التي حفظت ما بها ولكن خشيت أن أتأثر لما أتوقع أن تقوله فأتخطى سؤالا!..ولما أصدر فتح المسجل صفيرا تنبهت له كريمة ودون أن تنظر لي ثبتت عينها على المسجل وعقدها الأزرق صار بحوزتها وبدا أنها قد هدأت تماما غير أن أثر الدموع مازالت على كل وجهها

وطرحت أول أسئلتى

صافي : لو لم تطلبى الطلاق من زوجك لظل الطفل على قيد الحياة فما حدث لتنتهى حياته مسموما؟!..

فأشارت لي كريمة بأن أتركها تخبرنى وتقول ما لديها دونما توجيه أسئلة إذ مسحت على وجهها وتأهبت لتفصح عما بداخلها طواعية فأطبقت

ورقتى وأحترمت رغبتها فأخذت تسترسل في بوحها الذي أستمر لساعتين حتى أني لم أحتاج لفتح ورقتى مجددا لطرح أي سؤال عليها مما قد كتبته عملا بدروس الأستاذ رأفت لنا التي منها أن تنحى رأيك الشخصى جانبا وأن تلقى بعواطفك بعيدا وأنت تجرى حوارا داخل مبنى كهذا ! وأمام بوحها المتدفق شردت قليلا لأكثر من مرة ولما أنتهى اللقاء وشكرتها وإنصرفت ولما خرجت من مبنى السجن أخذت أفتش في الوجوه عن وجه محسن فلم أجده وأنتقلت إلى مكان يتضح فيه وجودى له من وسط كل هذا الزحام حتى يتثنى له رؤيتى وأتمكن أنا أيضًا من أن أتبين مكانه وأراه وهو قادم بإتجاهى ووقفت ومر وقت أخر إلى أن فقدت الأمل في مجيئه فتوجهت إلى المحطة في طريقى للتوجه إلى الجريدة وأنا مترددة كيف أفرغ التسجيل في مكتبى بالجريدة وكتابة التحقيق على الورق ومن ثمة تقديمه ليراجعه الأستاذ رأفت فهل سأتمكن من عمل كل هذا كما و أن الأستاذ رأفت على وشك الإنصراف عندما أصل إلى هناك فقد إقتربنا من الثانية ظهرا وما بقى سوى ساعتين على موعد إنصرافنا جميعا !سأجهزه مكتوبا وأقدمه غدا

وقررت العودة إلى البيت مباشرة فأننى بالكاد سأصل قبل ساعتين من الأن فلن أستطيع من إنجاز أي شيء على أيا حال وهدئت في مكانى أراقب الطريق !

وما بداخلى لم يهدأ فأخذت أسترجع بعض ما أستوقفنى في حديث هذه المرأة ..خاصة قولها: أن الخيانة المتكررة من زوجها حاصرت حبها له وأفسدت حياتهما مما دفعها لطلب الطلاق في النهاية

كما في قولها المتكرر في وصف الطفل أنه قطعة من قلبها وأن ماحدث فتت قلبها ! فلّما قتلته إذن طالما تحبه إلى هذه الدرجة ؟! هل تغلّبت عليها غيرتها وتمّكن منها الحقد على زوجها فأرادت أن تنتقم منه بهذه الطريقة البشعة ؟! سمعت كثيرا أن الغيرة عمياء ولكن لم أكن أتخيلها عمياء ومدمرة ويمكن أن تصل إلى هذا الحد !

الحقد والغيرة سموم قادرة على تحويل القلب إلى حجر وجعل الإنسان وحش لايرحم .. أستغرب لامرأة مثل كريمة جميلة ومثقفة و تعيش حياة مرفهة كيف لاتعبء لكل هذا وتدير لهم ظهرها وتفعل ما فعلت لأن زوجها قد خانها مع أخرى؟.. النساء تُخّان في كل يوم وبكل لحظة وفي كل مكان من قبل أزاوجهن وغالبيتهن تعرف ولاتلقى بالا للأمر .. وربما لاتحتمل الخيانة بعض النساء لكنهن لايدفعن بأنفسهن إلى الضياع وقاع الهواية

و الرعونة تدفع ببعضهن إلى قتل الأطفال للإنتقام من رجالهن!..لو كان بقلبها رحمة لتركت الطفل لأبيه وإنسحبت هي إلا أنها إمرأة حاقدة قلبها مغمور بالحقد مشتعل بنار الغيرة وأنه لجيد ما أقترحت عليا أن تتولى هي قول كل مالديها على أن أنتقل من سؤال لأخر وسط كل ماتقوله لعلنى كنت سأتوقف مرات لاتبتلع ريقى وأبدى دهشتى الكبيرة !.. كان الرجل يوفر لها كل ما تتمناه وتتطلع إليه كل إمراة في سنها وظروفها أيضًا .. إنها لاتنجب والرجل كما ذكرّت يعشق الأطفال!

يبدو أنه هو الحب يطل من خلف الخيبات الكبيرة في حياتنا أحيانا ! إكتفى الرجل بحبها وغض الطرف عن أن يكون له طفل ثان وثالث لتكتمل فرحته وبهجة الدنيا له .ربما لو كانت تنجب أطفالا لارتكبت جريمة من

نوع أخر !. فقتل طفل ليس بالأمر الهين فلو أن كل زوجة تشاجرت مع زوجها أو لفظ الحب أنفاسه وغاب الإنسجام فيما بينهما في إتجاه الخلاص بالطلاق فيُقتل طفل لحرمت البيوت من الملائكة الصغار وجفت كل ينابيع البهجة والسرور وإختفت البسمة والبراءة من وجه الحياة .أي متنفس للغضب لجأت إليه المتهمة ! .. ألم تجد غير ماقامت به ؟!..كانت تمزق ثيابه مثلما رأينا فاتن حمامة في الخيط الرفيع تتصل بحبيبها الذي قرر أن يتزوج وتقدم لخطبة فتاة في مثل سنه تاركا إياها بعد سنوات من الضياع اللذيذ قضياها معًا سرا بلا ميثاق ولا رابطة فأتصلت به بالتليفون ليأتى ويحمل أخر ما يخصه لديها !..أكانت تضع قلبها المحترق فوق بقايا الثياب الممزقة !.. عزمه الزواج بابنة رئيسه في العمل قد أشعل النار في قلبها فهوت على ملابسه بالمقص تقطعتها إربا وهي تنتفض من فرط الغضب والغيرة الشديدة !.. في كل مرة أشاهد هذا الفيلم أتوقف أمام هذا المشهد هل الملابس التي مزقتها البطلة كانت ملابس بالفعل تخص البطل محمود ياسين؟!.

قطع حبل أفكارى صوت أحدهم فمددت يدى بالأجرة للراكب الجالس أمامى الذي تولى جمعها من الركاب ليناولها للسائق وتنبهت للشخص الجالس بجوارى الملتصق بكرسيه لايتحرك وهو ينظر أمامه بعين غائمة يهز رأسه يمينا ويسارا بتأثر متوحدا مع حالة الشجن التي بثتها في الأجواء كلمات الأغنية الشعبية المدارة يتغنّى بها المطرب ويضفى من جهة أخرى على الأجواء صوت صفير الهواء الناتج عن سرعة السيارة وهي تتقدم بنا على الطريق وبدورى روحت أنصت وأستمع إلى الأغنية أرددها مع نفسى!

أبص لروحى فجأة لقيتنى

لقيتنى كبرت فجأة ..كبرت

تعبت من المفاجأة ونزلت دمعتى

قوليلى ايه يامرايتى .. قوليلى إيه حكايتى؟

تكونش دى نهايتى.. وأخر قصتى

أنا مش عارفنى.. أنا كنت مني

أنا مش أنا.. لا دي ملامحي

ولا شكلى .. شكلى .. ولا ده.. أنا

وجاءت أنغام الموسيقى التي جاءت متسقة ومتناغمة

المفارقة أن أغلب المتواجدين كانوا ينصتون للاغنية مشدوهين بترقب ثم بدا على الوجوه التأثر و لاأنكر أن كلمات الأغنية لامستنى من الداخل وأثرت في أنا أيضًا وبدت الأغنية بكلماتها وموسيقاها وصوت وإداء مطربها إلى مرثية للنفس ! أما أنا فاؤويد وجهة النظر التي تقول أن الموسيقى والأغانى الشجية أقرب إلى إسفنجة تمتص ما بنا من إرهاق نفسى وتعب وجدانى هذا مالم نفرط في الإستماع إليهم وإلا ستغرقنا وتوقظ ذكرياتنا الغير سارة!..

تنهدت الصعداء لقد أجتزت المحطة الأخيرة في طريقى للعودة من مهمتى الصعبة التي خلّفت بداخلى حزمة من التساؤلات و تيبس في

مفاصلى من البقاء في وضعية جلوس ثابتة لفترة طويلة .وهبطت إلى وجهتى وأنا أجر قدماى بوهن وأحاول فرد ظهرى برفق بدت خطواتى بطئية في البداية ثم لانت ومضيت مسرعة في طريقى لأصل لأقرب مقعد لألقى بجسدى عليه قهقهت في سرى وشفتاى تتبسم إذ حضرنى ما كنت أردده في صغرى عندما يحل بى التعب وأنا بخارج البيت لماذا لايتم عمل إستراحات عامة تتكون من أسرّة بمراتب مريحة في الشوارع ليتمدد عليها المتعبين من المارة ؟!

***

من الملائم بحالة إعيائى تلك أن أضبط المنبه على أن يوقظنى بعد ١٠ ساعات من تلك اللحظة فوضعت حقيبتي بمكانها وتمددت على سريرى وأنا أسترجع في أذنى صوت أمى التى نادت مرات لأخرج إليها كى أتناول الغداء حتى أنه يهيىء ليّ أنها تقترب من غرفتى وهى لازالت تنادى !..

مسحت بيدى على رأسى وأنا أتقلب في مكانى وأطيح بطرف الغطاء لأتمكن من الوصول بيدى لإسكات المنبه ! وقد إستعدت حيويتى بعد ساعات من النوم العميق ! حاولت أن أهجر سريرى وأجرنى من تحت هذا الشيىء الثقيل الذى ألقته أمى فوقى والمسمى على سبيل المجاملة باللحاف بينما هو أقرب لسقف قد هوى على سريري وأنا بينهما ! بيد فضّلت البقاء طمعا في المزيد من عطايا ومنح النوم التى لاتنتهى فتقلّبت في مكانى تحت غطائى وفجأة ظهر طيف الأستاذ رأفت فى خاطرى بنظراته المعهودة فدفعت الحمل الثقيل قليلاً وجلست في مكانى أحاول إستعادة يقظتى عنوة ونزلت عن سريرى وعيني على حقيبتي

على أن افرغ التسجيل وتجهيز محتوى اللقاء مكتوباً ومن ثمة تسليمه غداً إلى رئيس القسم .

لاأتخيله حينها عندما يجد التحقيق بكل مافيه بين يديه هل سيظل يحدق بيّ بنظراته المشككة في قدراتي؟!..

لما يتعمد مثل هذا التصرف ؟ تعامله بعيدا عن أى تحفيز أوتشجيع أو أي ثقة فى قدرات كل من ينضم مجدد إلى أسرة الجريدة !.. أولى به أن يشجعنا ويساوي فى المعاملة مع الجميع إنه يخص زملاءنا القدامى ومن التحقوا بالجريدة قبلنا بسنوات قريبة بمعاملة أكثر من جيدة ويغرقهم بالمديح والثناء على ما يقومون به !.

هل أحتاج للصبر عليه سنوات لأحظي بنفس المعاملة أم ما هو معياره في التعامل مع الأخرين المعاملة اللائقة ؟!

ألم يكن يوما ما في مثل وضعي محررا صغيرا؟!

هل ذنبي أنني صغيرة ولاأملك الخبرة !

لما لايمنحنا الكبار الدعم المطلوب و الثقة اللازمة , لماذا يبخل البعض هكذا ؟!

ألا يتصور رأفت ومن هم مثله أنهم بطريقتهم هذه يتسببون في وأد المواهب وتحطيم الأحلام والأمال وإصابة الطموحين بالإحباط واليأس والمرارة والإنكسار

هؤلاء يشبهون عاصفة محملة بالتراب وزرات الرمال تستهدف وجوه الحالمين وأصحاب الطموح!..

أتصور نفسى عندما أكون بحجم خبرته لن أبخل أبدا على أحد بالنصح والدعم والتوجيه والتشجيع أما وأن صعدت لأتولى نفس منصبه ذات يوم فسأمنح الفرص للجميع وأقدم الدعم والتشجيع الذي أفتقده الأن ولم أحظى به أنا وكثيرون غيري وسوف أتعامل بلاتفرقة كما يفعل رأفت !..

هل سأنجح بالفعل رغم كل هذه الصعوبات ؟!.. متى أحظى بدعم وتحفيز يتناسب مع حجم أمالى وأحلامى ؟!. متى سأصبح صحفية لامعة أكتب عمودا مثل كبار الصحفيين؟.

أحتاج لدعم حقيقى وتنقصنى الفرص حتى أتمكن من المضى بإتجاه ما أطمح إليه وأخطط له ويتردد أسم صافيناز شعبان في جرائد ومجلات لها قراء كُثر .. أود لو أصبح صحفية معروفة تظهر في القنوات الفضائية وأتغنَج في حديثي مثلما تفعل المطربات والممثلات وخبيرات الموضة وصاحبات وصفات التجميل !..

وهذا مسجلى العزيز أنتظرنى قليلا هنا سأعود بعد دقائق قليلة فقط سأتناول بعض ما جهزت أمى من طعام . ليتنى ظفرت به فى حينه كان ساخنا وأكثر شهية !

***

نسمة هواء رائقة إستقبلتنى ماأن وطئت قدمى المكتب فتقدمت في خفة وتبَسمت له وأنا أضع التحقيق بين يديه فتأملني من خلف نظرته وفمه

مطبق على غير العادة ! ومرت لحظة كاملة بدت مضاعفة وكانت هائلة وهو على هذا الحال فارتبكت وأبتلعت ريقى وأستاذنت في الخروج فأومى برأسه في صمت حيرنى وخرجت

إحتسيت ماتبقى بكوب الشاى الذى تركته على مكتبى بينما أتحين وصول حسام إلى الجريدة عائدا من عمل تحقيق بخصوص حادث أمس الذى راح ضحيته شخصان وطفل صغير صعقا بالكهرباء وهم يعبرون طريقا عموميا سقط فيه عمود إنارة ولم يتدخل أحد كالعادة لتدراك الأمر فكان ولابد أن يخلف ضحايا !

أحمد ربى أننى لست من سكان تلك المنطقة فلاأعبرهذا الطريق ! وتتنهد بأسى وبغصة وشيىء من الإحباط والحنق ..ومن يفلت في باقى المناطق من الحوادث التى تقع فجأة بسبب الإهمال والتقصير والإستخفاف بحياة الناس من حين لأخر؟!وتتنهد في غصة وهى تخط بالقلم على واجهة الصفحة الأولى بجريدة مطوية جانبا تجذبها أمامها وتقوم بفردها أمامها وهى تغمغم

الحادث هو الثالث خلال أربعة شهور فقط واحدا في أواخر الصيف والثلاثة بمجرد إنتصاف الخريف وسقوط الأمطار الغزيرة على بعض المناطق داخل المحافظات الساحلية لقد كان منظر الجثث في الماء والناس خائفون من الإقتراب لرفعهم من مكان الحادث أليم ومأساوى وأستفز مشاعر الجميع ودموعهم عن نفسى لم أستطع أن أنظر للشاشة وفضلت أن أنصت بإذنى وأنا أدير وجهى للناحية الأخرى لم أستطع أن أراهم يكفى المرة الأولى على صفحات الجريدة هنا وقد هاج غضب الناس على المسؤولين وطالب عدد منهم في مداخلاتهم التلفونية مع برنامج "على

مدار اليوم " للمذيعة الجميلة عبلة منصور بمحاسبة المسؤولين في الحى وإقالة وزير الكهرباء !! ولكن ما علاقته هو بأعمدة الإنارة! إنهم غاضبون وطفح الكيل من كل أشكال الفساد ومظاهر الإهمال

وتحرك القلم بخفة وترسم دائرة متبسمة بإستدراك ..تعجبنى عبلة منصور مذيعة لبقة ومثقفة وأنيقة ولها تناول حيادى وشفاف خلافا لعدد كبير من المذيعين ! ولكن هل يمكن أن يكن لى في يوم برنامج أتولى تقديمه مثلها واصل لنفس شهرتها ونجاحها ؟!.. أظن أن حسام عندما نتزوج سيساعدنى ويشجعنى بشدة ويساندني بقوة في تحقيق كل أحلامى وأنا أيضا سأساعده بكل ما أملك وأكثر مما أستطيع .. وتلمع عينها وهى تتنهد في هيام وتضم شفتيها على إبتسامة كبيرة تتمدد على شفتيها في عفوية وتنظر جانبا ناحية الباب خلسة تتعجّل عودة حسام !

في حين ينخرط زملائها من حولها في عملهم وقامت على الفور بطى الجريدة ووضعها جانبا , تضبط شاشة الكومبيوتر قبالتها وتقترب بكرسيها قليلا لتكون بمحازاتها

تغمغم في جدية لاتخلو من قلق بدا في عينها

علىّ إستكمال كتابة فكرة الموضوع الذى أجلته ثلاثة أسابيع لأعرضه على رأفت وإن كنت أعرف رأيه مقدما للأسف ! .

ومستدركة في إستنكار

ولمّا إستقبلنى بنظرته المحبطة تلك ؟ !ينظر لى كمن خاب أمله !.. رجل عجيب جدا

إن نظراته كفيلة بتثبيط الشمس على الشروق وإمتناع الطير عن الطيران ورفض الزهور في أن تتفتح من جديد!.

***

أسرعت إحسان تهرول لترد على صوت رنين التليفون المتلاحق رفعت السامعة ردت..

إحسان :

- الأستاذ محسن ليس موجودا وأمام ماتسمع منصتة لصوت المتصل ارتبكت قليلا ونظرت لأعلى فمحسن بالفعل موجودا لما ستتكره وفي نبرة جادة ومتلهفة قالت ردا على ما يبدو سؤال وجههه لها الطرف الثانى على الخط

إحسان:

-أنا مديرة منزله .. من حضرتك؟

فأمتقع وجهها في أسى ورددت من خلفه

- السجن

فارتعشت شفتيها وهى ترد بعين مثقلة

-نعم يافندم لحظة أنادى الأستاذ محسن .. وتركت السماعة وإتجهت للأعلى لتنادى محسن

في نفس اللحظة رن جرس الباب فتراجعت خطوات لتفتح الباب وهى مترددة أتصعد لتخبر محسن أو تفتح الباب وجرت بسرعة إلى الباب لتفتحه لتظهر أمانى التى إعتادت أن تجىء بذلك الوقت للإطمئنان على محسن وألقت التحية على إحسان التى ردت بهدوء جم وعيون متلهفة وأغلقت الباب ودخلت أمانى إلى جانب من البيت في إعتيادية بينما اتجهت إحسان لجانب أخر حيث ملحق به غرفة نوم جهزت لمحسن بعدما رفض النوم في غرفته بالطابق العلوى!

طرقت إحسان على باب الغرفة فكررت الطرق بلاجدوى ولما لم يفتح محسن قامت برن الجرس الذى وصل صداه لمسامعها أصوات ضحكات طفل وحوله موسيقى أغنية أطفال وجو صاخب من ضحكات وحركة كأنها تسجيل لجزء من إحتفال سرعان ما تذكرته على الفور أنه تسجيل لجزء من حفلة عيد ميلاد ميمو فإبتلعت ريقها في أسى ! فأغمضت عينها وهى تهز رأسها في ندم أنها إختارت إستعمال الجرس بدلا من مواصلة الطرق على الباب بخفة وثبات كما فعلت وتفعل دائما وفتح الباب بسرعة وفجأة وكما توقعت إرتسمت علامات الضيق والأسى على وجه محسن وهو ينظر لها فارتبكت وفي نبرة إعتذار وجدية معا

إحسان:

-أستاذ محسن ..إتصال لك من السجن..

فتحولت نظراته من الإستنكار والغضب إلى اللهفة الشديدة والقلق الكبير وهرول بإتجاه مكان التلفون بينما تسَمرت إحسان وجلة متوجسة في مكانها لبرهة قبل أن تلحق به

يتزامن مع خروج أمانى قادمة من الداخل تنظر لمحسن ثم إلى ناحية إحسان مستفسرة

محسن:

- يرفع سامعة التلفون ويرد بسرعة

محسن:

- ألو..أهلا وسهلا.. نعم .. أنا محسن المنصورى..؟

ماذا حدث؟..ماذا ؟!

وتهوى من يدى محسن السماعة ويترنح قليلا ويهوي أرضا في مكانه وكأنه أنشطر إلى جزئين تهرول أخته ناحيته أما إحسان فترفع السماعة لترى ما جرى وهى مأخوذة بما حدث لمحسن أول مرة تراه بتلك الحالة حتى أنه لم ينهار هكذا يوم مصرع طفله تُرى ماذا سمع أو عرف من السجن ليحدث له هذا إلا أن الخط قد أغلق وتصعق أمانى تحاول إستفاقة أخيها وهى تسند رأسه عن الأرض بيدها ثم بكامل ذراعها إلى صدرها وخائفة تربت على صدره بحنو وتمسح علي رأسه وطارت إحسان واحضرت زجاجة برفيم وناولتها لأمانى فأخذت منها على المنديل تمرره حول أنف محسن مرة بعد مرة ويبدأ محسن في إستعادة وعيه تدريجيا فتترعش عيني محسن المغمضة وتتحرك تحت جفونه وما أن يفتح عينه يدفع بجسده للأمام قليلا وقد إستعاد شيء من وعيه ليلقي صرخة تدوى في أرجاء البيت وكأن كل أعمدة البيت تترنح وتهتز وأمانى وإحسان غارقتان

في حالة من الذهول والتوجس والخوف تنظران لمحسن بفضول وقبل أن تسأله أمانى التي ترمقه بعين مفتوحة قلقة مضطربة

بحسرة ولوعة

محسن :

-كريمة ماتت

فتصرخ إحسان صرخة مدوية ويتداخل صوت بكائها بصراخها وأمانى تصعق متمتمة بشبه هذيان غير مصدقة تفر الدموع سريعة من عينها وهي تنظر لمحسن الذي يبكي بنشيج كطفل تائه وعينه زائغة ترتسم علامات اللوعة والصدمة على وجهه

وتركض إحسان إلي الداخل تجر لوعتها تسبقها دموعها وصوت نحيبها وتمدد الحزن في أركان البيت

تتماسك أمانى قليلا وهى ترفع محسن من على الأرض بعزم وتقاوم مشاعر الأسى ووقع الصدمة عليها ولكن محسن يفلت يدها ويقوم وهو ينتحب ويلقى بجسده على الكرسى وهو كمن يهذى تغلبه دموعه ويهمهم بكلمات غير واضحة أو مفهومة لأمانى التى تمسك بيده والدموع تبلل وجهها

محسن بصوت مختنق بالبكاء وهو يحاول القيام عن كرسيه ويطلق صرخة غضب ولوعة ويتجه مسرعا بإتجاه الباب ويندفع خارجا منه ..

أمانى تضع يدها على فمها تكتم صراخا وتبكى بأسى وتنظر حولها بضياع

تلتفت ببطء ناحية الباب الذى جذبه أخيها بشدة من خلفه ودموعها تنهمر على خديها تنظر بتيه تحاول تصديق ما يحدث من حولها وما سمعت ورأت من حالة أخيها ووقوفها ربما بتلك اللحظة وهى تبكى في لوعة وأسى

و إحسان عائدة تحمل كوباً من الماء لمحسن تجر قدميها باكية تنتحب وفي عينها لوم تتهرب أمانى التى إلتفتت ناحيتها تستجدى دعماً فتفاجئت بنظرات إحسان وقد أدركت ما تعنى فطئطت رأسها في أسف وأسى

إحسان :

-قلت لكِ ياأمانى ..قولت لكِ.. وقلت لأخيك

وتصرخ باكية بغضب ويتسرب أسم كريمة مع دموعها

-أخبرتكم أن كريمة بريئة ولم تقتل ميمو .. وتغلبها دموعها فتصرخ أمانى فى وجهها لتتوقف وتسكت

والألم يعتصرها ..

أمانى :

-محسن .. محسن !..

فتقاطعها بنظرة لائمة وفى إستنكار

إحسان :

- وكريمة ؟!..كريمة ..

ولما تجد نفسها لاتقوى على الكلام تجهش بالبكاء وتهرول مسرعة إلى الداخل وأمانى تتلفت حولها وتبكى بشدة وعينها حائرة وقد خيم الحزن على المكان .

***

وسط مكتب رئيس التحرير تقف صافى بين زملائها وقد لفت أجواء المكان حالة صمت مفاجىء عقب صخب كبير وحالة من الإستنفار وعلامات الدهشة والإرتباك تعلو الوجوه في إثر نوبة توبيخ وتعنيف على ما يبدو من وجهها قد خصها بها رأفت والذى يستدير خارجا من المكتب وهو يشيح بذراعه في غضب وسخط الأن تتابعه نظرات الحاضرين بينما صافى تنظر عليه ثم لمن حولها بفاه فاغر وهى تهز رأسها غير مصدقة تلتمس شيئا ما بعيد وغير موجود يجمع شتاتها ويفسر ما يجرى معها من وقت لأخر ولما يستهدفها رأفت ومعه الحظ بجرعة متجددة من الخيبة والمرارة والخذلان !

حتى أنها فتشت في وجوه الحاضرين عن حسام وجدته بصعوبة فوجوه من حولها صارت متشابهة في نظرات العيون وعلامات الوجوه ترتسم وتعكس إدانة ولوم وتخلى في حياد مخيب وصمت موجع بتلك اللحظات وبهذه المواقف هكذا تستشعر صافى وعثرت عليه أخيرا يتوارى بنظره عنها فتسألت أين نظرات الإعجاب ومحاولات التودد والتقرب وجدته ينظر جانبا وهو يهز رأسه هنا أبتلعت ريقها بغصة وأدركت أنها في ورطة

وهوة تتسع وتكبر!.. فقد تناهى إلى سمعها ما بدا واضحاً من همهمات بعض زملائها في الردهة وهى خارجة من مكتب رئيس القسم أن زوج المتهمة بصدد رفع قضية على الجريدة !وأن رأفت رغم ما تحقق من الإقبال على شراء الميزان إلا أنه قلق بشأن ما أعقب لقاء صافى بالمتهمة وخبر إنتحارها وتهديد زوجها بمقاضاة الجريدة

صافى :

- لقد قمت بعملى هل كانت المتهمة ستبلغنى بنيها الإقدام على الإنتحار ؟!..قمت بعمل الحوار معها بعد جهد مضنى هنا وإلى أن إلتقيت بها وأعتبرت نفسى محظوظة بأن وافقت على أن تجرى المتهمة حوارا صحفيا وعلمت هناك منها أنها رفضت مجرد الحديث مع كل من سبقنى الى هناك من الصحفيين !.. ففي أول مرة رأتنى ظلت تتفحَص وجهى بدقة وسط إستغرابى فقد كنت أسيرة إنطباع وفكرة راسخة بداخلى تجاه القابعين في السجون وعن من يتواجدون فى الأماكن المأهولة بالأشخاص على إختلاف الأسباب والظروف أنهم مصادر متحركة تنشر العدوى وكل مسببات الأمراض فيجب التعامل معهم بحيطة تامة وحذر بالغ فقد كنت أخشى مجرد الإقتراب منها وكنت أقف فى جانب لاأغادره من جانب في الغرفة المهئية للزيارة والتى كانت رثة وهوائها رطب وبها مقاعد من الحديد يفوح منها رائحة الصدأ والرطوبة ! وكانت المتهمة تتجول في الغرفة قلقة متعجلة رغم هئيتها المرتبة تبدو لى للحظات كمن زهد في الزينة والهندام رغم ما يعكس مظهرها وكأن ما تبدو به تم عن إعداد وإختيار مطلق منها تبدو كملكة سابقة فى ورطة حقيقية فلديا قدرة على إكتشاف ومعرفة الفروق بين النساء المتكلفات منهن في إبراز فتنتهن وقوافل المستجديات

للمسة وقدر من الجمال الإصطناعى وبين الجميلات بصدق المحظوظات بحق .. ولأنها متهمة بجريمة قتل وقتل من طفل برىء بالسم فقد كنت أعاملها بفظاظة وبلا أدنى قدر من الذوق أحيانا .. كنت أضغط عليها لتفصح وتبوح لى عما بداخلها وكم من مرة عمدت إلى إستفزازها فكانت تصمت وتدير وجهها الجهة الأخرى فأعاود طرح الجديد عليها والذى يأتى أكثر منه استفزازا فيعقبه صمت جديد وأحيانا بنظرات عاتبة فقد كنت أقسو عليها ولا أدرى لماذا هل لأنها وافقت علىّ دون الأخرين لتتحدث معى؟! ولكنها كانت تصمت طويلا !..كنت أطبق شيىء مما تعلمت وهو أن نهمل حدسنا ونتجاهل عاطفتنا ونمضى في عملنا! والغريب أنها كانت تلتمس الأعذار لكل من أتى ذكرهم في الحديث من أقارب زوجها وزوجها نفسه كانت تنفعل فقط وفي صمت أن أتيت على ذكر زوجها بسؤال وإن ردت فكانت نبرة صوتها تعكس حزن وسخط ولوم وماكانت تستعيد جمالها الذابل وينقشع سحب حزنها إلا مع ذكر أسم طفل زوجها الذى تسميه ميمو! ونادرا ما تقول محى الدين هذا في أول لقاء أما الثانى والأخير فهى نفسها لم تتوقع أن أعاود المجىء إلى السجن لمقابلتها ثانية ولكننى ذهبت ! لاحظت أن بينها وبين واحدة من السجانات ود ما فقد كانت تمتلاء عينى هذه السجانة بشفقة وتعاطف كبيرين مع المتهمة أما السجانة الأخرى والتى رأيتها في المقابلة الأخيرة فقد كانت تتصرف بحياد تام وصرامة واضحة ترجع لظروف وطبيعة عملهم .

السجانة التى كانت في المقابلة الأولى كانت تدفع المتهمة للحديث معى وأن تتكلم وتخرج ما بداخلها كانت تريدها أن تدافع عن نفسها كانت أقرب إلى أم منها إلى سجانة!

وقت المقابلة الأولى إستغرق مع المتهمة حوالى الساعتين إذ بدأت فى العاشرة والربع وإنتهت بعد الثانية عشرة

وقد تخلله كثيرا من الصمت من جانب المتهمة بينما حماسى المتقد قد ضاعف بداخلى العديد من التساؤلات والتى طرحتها عليها دون إنقطاع حتى وهى صامتة كنت أبادر بسؤال وإن أجابت كنت أباغتها بأخر لأحصل على المزيد .. بعد أطول صمت تخلل المقابلة الأولى أخبرتنى أنها تريد أن أجلب لها عُقداً من بيت زوجها قد أهداه لها طفل زوجها الذى قتلته فقلت أنها ربما ندمت وإستوحشت الطفل وتريد إسترجاع جانب من ذكرياتها معه خاصة أنها قالت إنه قد أهداه إياها في أخر عيد ميلاد لها وتمنيت في قرارة نفسى ألا تطلب شيئاً يخص الطفل فقد كنت ساخطة عليها لقتلها هذا الملاك الصغير ولكنى قبلت وقلت في نفسى سيعقب هذا الحنين الندم العميق على جريمتها و بالفعل قابلت زوجها بعدما عرفته بنفسى ثم أخبرته أنها تريد هذا العُقد ولذلك توجهت إلى بيته فرحب بي ولم يناقشنى في أمر العقد بل قام على الفور وأحضره وناولنى إياه بعدما قام بوضعه في علبة صغيرة مغلفة بطبقة من قماش القطيفة لونها أسود فاحم وأوصانى وشدَد عليا أن أخبره بكل ما ستقوله ليَ أثناء المقابلة وبالفعل فور خروجى من هناك إنتظرته طويلا أمام مبنى السجن ولكنه لم يأتى أو ربما جاء ولم يرى كلا منا الأخر .وطيلة الليل ظللت أقوم بتجهز التحقيق وفي صباح اليوم التالى كان جاهزا للنشر وقدمته للأستاذ رأفت وتركته له وخرجت حتى يتسنى له مراجعته والموافقة عليه أو رده للمراجعة ولأنه لم يتحدث إليّ بشأن التحقيق ولا بغيره فتسللت خارجة من مكتبه متوجهة إلى مكتبى لأرى ما سأقوم به من عمل في مطلع اليوم بالجريدة ..

قبل أقل ساعة من الأن فقط عُدّت من مبنى النيابة بعد التحقيق معى وأخرين منهم السجانة التى قابلتها فى المقابلة الأولى وذلك بعد حادثة إنتحار المتهمة بالعقد الذى طلبت منى أن أجلبه لها من بيت زوجها !..

فلقد أثار خبر إنتحار بطلة اللقاء الصحفى بسجن القناطر موجة من الإستياء والسخط على الجريدة أما بداخلها فقد إندفعت حمم بركان خامل نشط من أجلى وأخذ يلقى بها و لم يخطىء مكانى !.

***

يقطع نحيبها المتقطع وسط مجلس العزاء نظرات لوم بإتجاه أمانى التى قد نفد صبرها عليها فهى لاتحتمل مجرد وجودها في المكان ولكن تكتم مشاعرها لينقضى كل شيىء سريعا قائلة في نفسها حسبها مرة ولن يتكرر مجىئها إلى هنا للأبد فكانت تنظر ناحيتها بنفاد صبر وضيق ثم تشيح بوجهها عنها وهى تهز رأسها في أسى وضيق واضح .أما إحسان فتتولى تقديم القهوة للسيدات على مضض منها وترمقهم جميعا واحدة تلو الأخرى بنظرات الإستياء والحنق وتجلس صامتة تمتلاء عينها بالحزن واللوعة تكتم دموعها وهى تتجنب النظر في الناحية التى تجلس بها أمانى . تتوافد السيدات إلى مجلس العزاء وتغادر أخريات في أجواء حزينة وخانقة وقد مر وقت فبدأ المكان يخلو تدريجيا من الحضور إلا من عدد قليل من السيدات

والعمة تبكى بحرقة وهى تكرر قائلة ..

العمة :

-ماتت مقهورة على أبنها..وأمانى ترمقها بنظرات غاضبة تذم شفتيها في حنق وغيظ

- كريمة لم تحتمل حياتها في بعده ! لما فعلتى هذا بنفسك وشبابك ياحبيبتى

ينفد صبرها فتنفجر فيها أمانى صارخة

أمانى :

-أرجوك أسكتى وإلا ..وتتراجع فى كلامها ولا تكمل ..

فتثور العمة وتبكى بحرقة وحزن

العمة :

- وإلا ماذا ؟! هل ستطردينى من بيت ابنة أخى ؟

أمانى فاض بها الكيل هى الأخرى ويبدو دفعتها العمة لقول ما لاتريد سماعه فقامت إحسان من مكانها تهدىء العمة وتنظر لأمانى بإستنكار لتعاملها على هذا النحو بعمة كريمة

ولملمت العمة حالها وحملت حقيبة يدها وهى تمسح عينها بمنديلها والحسرة بادية عليها والغضب

العمة :

- كريمة ماتت ! ويعلو صدرها ويهبط مختنقة بالبكاء

-كريمة ماتت !.. تكررها ربما لتصدق الأمر وعينها تدور في أنحاء المكان والدموع تنساب على خدها وسط تململ وحنق أمانى التى تتحاشى النظر ناحيتها

وهى تهم بمغادرة المكان

العمة :

-كريمة كانت بتخاف من منظر الدم لو إصبعها جرح

كيف تقتل إبنها؟!ي

هنا ثارت أمانى وإندفع الكلام منها متتابعا

أمانى :

-محى بن أخى وليس ابنها ! . متى كان لإبنة أخيك من أولاد وبدلا من أن ترعى الولد قتلته لأن محسن كان سيطلقها و كانت تصدق نفسها !

كانت تريد أن تأخذ محي بعد الطلاق !!

تذهل عايدة لما قالته أمانى وتبدو مصعوقة في مكانها بين المعزيات غير مصدقة لما سمعت تحاول ربط بعض الأشياء ببعضها البعض تستوضح الحقيقة الغائبة وسط كل ما حدث ومازال يحدث من حولها ..

العمة تبكى في صمت وتتراجع عما أرادت أن تقوله ربما أنها ودت لو ترد قائلة أن كريمة هى من سعت للطلاق منه إلا أنها أثرت الصمت فلم تعقب

أمانى :

- قلب أخى من فعل فيه كل هذا كيف يسلّم إبنه لإمراة غريبة تأكل الغيرة والحقد قلبها فتقاطعها العمة بلاجدوى

العمة :

-كريمة كانت تعتبره مثل طفلها تحبه وترعاه

أمانى :

- أرجوك !.. وترمقها مستنكرة لتصمت تماما

العمة :

- بل أسكتى ولاتتحدثى وتلقى بالإتهامات والأكاذيب عن إبنة أخى

أمانى :

-إبنة أخيك قتلت الأبن الوحيد لأخى

قتلت طفل لاحول له ولاقوة طفل برىء كان يناديها بماما ..تبكى عايدة بحرقة وقد لامس الكلام قلبها وهز مشاعرها..

-قتلت طفل لتنتقم من أبوه .. كريمة أنتقمت منا كلنا ..أحرقت قلوبنا عليه

وقد حاكمت نفسها بنفسها .. لكننا خسرنا الولد

فتقترب منها العمة وتتأملها في إستنكار و ولوم وهى تبكى

مهمهة بأسم كريمة في أسى بالغ وتندفع مغادرة المكان

أمانى ترحب بإنصرافها وتلقى على مسمعها

-ابقى اترحمى على بنت أخوك بعيدا ..ومتجيش هنا تاني

فتخرج العمة في حين يظهر محسن وقد سمع ما دار بين عمة كريمة وأخته أمانى وهو يصعد السلم لأعلى بخطى ثقيلة يرفع قدميه في عناء

إحسان تنظر حولها بأسى وقلة حيلة والدموع تنساب من عينها خاصة بعد خروج العمة بتلك الطريقة وظلت أمانى تتبعها بنظرات غاضبة .

مأأن يصل محسن إلى باب الغرفة بالطابق العلوى ليبدو للوهلة الأولى وهو بمكانه كأنه طيف ومن ثمة يدخل ويغلق الباب من خلفه في لحظة وبدا دخوله وهيئة الباب وهو يغلق كأنه أغلق للأبد أغلق لكى لايفتح ثانية في لحظة تداخل فيها الزمان والمكان وغاب فيها محسن تماما عن محيطه .

وترى إحسان أن عليها أن تنسحب إلى الداخل في ظل هذا الجو المشحون والمنذر بالإنفجار تاركة هذا السجال بين عايدة وأمانى ولكن أمانى تستوقفها وعايدة هى الأخرى تريدها أن تبقى !. تتأمل إحسان وجه عايدة الباكى بلوعة وإنكسار وتنصت لكلام أمانى القاسى بحق كل من يجرؤ ومن يرى أنه مازال من حقه البوح عن شجونه ومتاعبه!

عايدة تفتح جرحها القديم وتدافع عن نفسها أمام أمانى التى تحملها مسؤلية ترك إبنها ليلقى مصيره على يد إمراة أخرى تزوجت بأبيه كل هذا وسط صمت تام من إحسان متجنبة أن تعقب أو تهدىء من روع عايدة

وهى باكية وبصوت شروخه الألم ترد عليها قائلة

عايدة :

-أنت لاترين أخيك يخطىء ! لا في حقى ولا في حق كريمة..

أمانى تقاطعها وهى تتأملها بحنق وفي إستنكار

أمانى:

- تنطقين بأسمها بتلك البساطة ؟!..

وهازئة

-كريمة!.. تقصدين قاتلة أبنك ..التى سممت طفلك .. أنت وهو قتلموه قبلها ..

تقولين كريمة!.. أذكرى أسمها ورددیه كلما أشتقتى إليه وتمنيتي لو تأخذيه فى حضنك .. و تملئين عينك منه ياعايدة

عايدة يقترب صوت بكائها إلى العويل وأمانى لاتهدأ ولاتتوقف

عايدة :

-يكفى ياأمانى ..يكفى

عبثا لاتصمت وتواصل أمانى حديثها

أمانى :

- وكلما تلوى قلبك وإعتصره فقدانه

وتشير أمانى بقبضة يدها المضمومة على قلبها والدموع تنهمر من عينها ..

-أخبريه !..كريمة هذة قتلت محى الدين محسن محى الدين المنصورى

وتبكى هى الأخرى في لوعة وأسى

-قتلت إبننا الوحيد .. كريمة فطرت قلب أخويا مرتين مرة بقتلها لأبنه والثانية بقتلها نفسها

محسن مثلك مكنّها من قتله وقتل إبنه

لو كنتِ للأن زوجة محسن ماكان محي مات مسموما على يد زوجة أبيه ياعايدة

تستجمع عايدة نفسها وبصوت متهدج وعين دامعة

عايدة :

- اسأليه ..اسأليه ..وأنتِ عارفة

لماذا طلبت الطلاق ؟ولماذا طلبته كريمة هى الأخرى

إحسان تضع أطراف أصابع كفها على فمها في حرج ولدهشتها مما قالته عايدة وتنظر لأمانى بتوتر وفضول..

أمانى سكتت أخيرا على وقع كلام هوى على مسمعها كالصاعقة أربك الدموع في عينها وتمنت لو لم تسمع إحسان ما قالته عايدة

إحسان تنظر لأمانى بترقب وتحدى تنتظر أن تلتفت لتتلاقى العيون ولكن أمانى ظلت واقفة مكانها صامتة تبتلع ريقها بصعوبة بالغة.

***

عايدة تجر قدميها متجهة إلى الصالة وعينها مليئة بالحيرة والفكر تنظر عليه بترقب وتقترب وتجلس بجوار أشرف الذى يجلس مستغرقا في متابعة البرنامج فى التلفزيون

عايدة تلتفت على أشرف وفكرها مشغول عينها قلقة مضطربة تجلس بجواره صامتة بيد هو منشغل فى المتابعة فتميل على كتفه متسائلة

عايدة :

-أشرف ؟

أشرف:

-نعم ياروحى ؟

تقبل رقبته في حنان وحب فيبتسم وهو يسحب كفها ويقبل باطنه و يربت على ركبتها الملاصقة لرجله ..

عايدة :

- أحبّت أبنى أكثر منى ؟

أشرف يهز رأسه فهو يدرك ما تفكر فيه عايدة ويسيطر على تفكيرها منذ ذلك اليوم وذلك بعدما عادت من عزاء كريمة ومن لحظة معرفتها لخبر إنتحارها

أشرف من خلال متابعته للبرنامج ينظر لشاشة التلفزيون وهويتجنب الإلتفات ناحيتها ليقلل من أهمية ووطئة ما تشعر به وتقوله وتتسأل عنه ..

أشرف:

-ماذا تقولين ياعايدة ؟!!

ولما تفكرين بالموضوع ؟ مازالت تتسألي وتفكري !..ثم أنا يومها قلت لك أن الأفضل هو ألا تذهبى ! لاأدرى لما أصريتى !..

عايدة :

- لأن محيى كان يحبها وبغصة مريرة وشعور بالذنب والتقصير في حق طفلها أيضا

-كما أنها كانت تحـ ... ولايطاوعها لسانها على تكلمتها فتستعيض بكلمة أخرى قائلة

كانت تعتنى به كثيرا وتحسن إستقبالى

ينصت لها فى شفقة وتأثر

-كما أننى كنت أريد معرفة ما جرى ولماذا حدث لها هذا ..لماذا أنهت حياتها وبتلك الطريقة؟!

وتبتلع ريقها بغصة وتأثر عاجزة على الرد على أسئلة كثيرة تتدافع إلى رأسها مع إحياء لكل ماحل بها وبطفلها وسط يقين يملئها بكم ما كانت تحمله كريمة لإبنها محى الدين وتقولها كأنما لا تود لو كانت الحقيقة ولكن اليقين وشىء من الإمتنان والتأثر لما حلَ بكريمة تقولها عايدة فى أسى بالغ

عايدة:

-إنها كانت تحب محي الدين كثيرا

أشرف بتأكيد وتأيد لما قالت وهو يقرأ ما بداخلها وما خلفها كلماتها وماتعكسه عينها

أشرف:

-محيى طفل برىء .. ما من أحد لايحب الملائكة

عايدة :

- أقصد..

فيقاطعها مشفقا عليها ..

أشرف :

- لما تبحثين عما يرهقك ويحيرك ؟! مامن داعى لكل تلك الأفكار والأسئلة

إنها توفيت و الله يرحمها

عايدة :

-وميمو؟

أشرف :

- فى الجنة ياحبيبتى

مشدوهة تحدق في وجهه وعينها ملىء بالحيرة والدهشة

أشرف:

-وهو يضمها لصدره وهو يهز رأسه متظاهرا بالجدية

أشرف:

-ما كان يجب أن تذهبى إلى هناك

***

تأملت مسجلى الخاص وددّت لو أنه بدلا من أنه يقوم فقط بالتسجيل أن ينطق لمرة واحدة ويتحدث معى !.. كيف أؤكد كم أنا بحاجة إلى أن يتحدث معى أحد أى أحد..إلى متى تظل أمى تنام بعد كل عِشاءّ ؟!

ما من فائدة لأى دهشة الأن وفي هذا الظرف تحديدا !! أخبرتها مرات عن حاجتى وكم من محاولات متكررة و رجاء وإلحاح أن تبقى يقظة إلى العاشرة ! وذكرتها أنها مازالت شابة وتحتمل السهر حتى ولادة الفجر والإكتفاء بعدد ساعات قليلة ليلا وتضيف عليها ساعة أخرى بمنتصف النهار بعد العودة من العمل ! لم أفلح في إقناع أمى أن تجعلنى أجدها يقظة تتحدث معى متى أردت ذلك !..

وأدركت فيما بعد أنها تهرب من إرهاق العمل و غياب أبى وذلك إلى مملكة النوم!

لماذا يجثم على صدرى كل هذا الهم ويعتادنى الضيق و يدور حول رأسى طيف من حزن؟!

لم يكلف نفسه ويتصل بى ويطمئن علىّ حتى أنه لم يساندنى ويقف معى في أزمتى مع رأفت

حسام مثل الباقين بلافائدة تذكر

صدق نزار قبانى عندما قال

" إن المرأة تحب الرجل الذى يحميها "

لم أجد هذا الرجل يانزار إنه غير موجود في حياتى

جبان ياحسام ..أنت جبان ..كيف تتخلى عند هكذا ؟وتتركنى وحدى في هذا الموقف الصعب .. إنك لم تجرى خلفى وتهدأنى ، لم تدعمنى أنت الوحيد الذى تمنيت لو يقف معى وأسمع منه جملة واحدة أو كلمة واحدة

أناهنا ..أنا معك !!

وتأخذ نفسا عميقا وتطلقه ببطء كأنها تلملم به تلك الخواطر الثقيلة على صدرها..

لو لم ألبى طلبها وأجلب لها العُقد ربما كانت تتنفس مثلما أتنفس الأن

لماذا أنتحرت ؟..ربما عذاب ضميرها وألمها مما لحق بالطفل ,

من حديثها عنه أنها كانت تحبه وتعتبره طفلها

نعم..

كانت تتحدث عنه في حنان فياض ولطف طاغى وحب غامر وعينها كانت تمتلاء بالصفاء والنور والمحبة كلما أتينا في الحديث على سيرته .

لكنها قتلته وإنتهى الأمر لما إذن تقتل نفسها؟!

هل خافت من الحكم عليها بالإعدام ؟! قد تكون خافت بالفعل من إنتظاره وتنفيذه فاقدمت هى على تنفيذه بنفسها فشنقت نفسها بالعقد!..

لما بالعُقد تحديدا ؟!..أهو تطهيرا من فعلتها بحق الطفل فكأنما تعاقب نفسها وتقتص له بتلك الهدية التى قدمها إليها في عيد ميلادها؟!..

لماذا لم يأتى زوجها ؟!

لقد أكد علىّ في أن أنتظره بالخارج وأنه سيكون بالمكان لأقول له ما أخبرتنى به المتهمة .. زوجته

غريب هذا الرجل..

أم أنى أمام صنف مختلف من الرجال والأباء؟!

يداخلنى شعور أنه يحبها للحد الذى يدفعه لغفران قتلها إبنه

هل يعقل هذا ؟!..ولكن حديثى معه وإنطباعى عنه من هيئته ومنطقه وأسلوب تعامله أمامى يؤكد أنه شخصا طبيعيا ورجل متزن وأب حقيقى . لقد كان الحزن بادياً عليه في حديثه عن ولده والأسي يشكّل نبرات صوته أثناء الحديث معه عندما قابلته في

بيته!..

أذهب لاعزيه؟!.. وهل سيحزن عليها أو ينتظر ويتلقى فيها العزاء ؟

لاأدرى حقيقة ..

أراها راحت ضحية غيرتها .. أعمها الغضب وغيّب عقلها ففعلت ما فعلت وعندما ندمت عاقبت نفسها ؟!

تحك رأسها بطرفى إصبعيها السبابة والأوسط وهى تراجع نفسها بحرج

هل أنا قاسية عليها ؟!..

ليتنى ما طلبت عمل التحقيق !.. ولما أليس هو المعتاد أن تجرى مثل هذه اللقاءات ؟..

بلى ولكن للحد الذى يعقبه ماجرى و أتورط هكذا ويتم التحقيق معى؟ وأستهدف بموجة من السخط والتوبيخ ثم أنقل من القسم الى أخر؟!..

الرائع في كل هذا الإضطراب أنه تم حرمانى من التعامل مع ذلك الكائن الذى لايطاق

وأوّد لو أن يترقى مثلا لمنصب رئيس مجلس إدارة الجريدة ويغيب عن وجهى لاضيق نطاق أراه فيه وحينها سأتخلف..

تضع المسجل جانبا وتقوم في محاولة لإزاحة ما يرقد بثقله على صدرها

فتذهب وتجيء في الغرفة وهى تعقد ذراعيها الممددين لأعلى رأسها في الهواء

و تنحنى إلى اليمين واليسار ثم تركض في مكانها وفجأة تتوقف وهى تزفر بضيق قائلة:

-حقا لا أعرف ماذا أفعل لأبعده عنى ؟!..

هل أعد وجبة ما أشوش بها على خواطرى وأملأ بها فراغ لا أدرى موضعه بالتحديد لعل معدتى تلتقط طرفه وتحدد بوصلته؟!..

لذة الأكل تسكن بعض الألام وبشكل فورى

الطعام إذن يجب أن يطهى بعناية طالما يمتلك هذه الميزة تحديدا ..

علىّ أن أمتثل لتوجيه أمى بأن أُولّى تعلم الطبخ أهمية وأمنحه بعضا مما أختص به الكتب

هل يمكننى يوما أن أتعلم وأقوم بالطبخ بقدر من الشغف

وإن لم يحدث فهل سأتوقف عن تناول الطعام ؟!.. وتضحك بشدة

علىّ ألا أفعلها ثانية وأندهش من كثرة الإقبال على المطاعم التى تقدم الوجبات السريعة فهى أدركت سر ما فيها أنها تمنح اللذة الفورية لزبائنها..

لاأظن أنها قامت لهذا السبب ولكنه سيزيد من أرباحها وبالتالى إنتشارها وتكون فرصة ذهبية لإعفاء النساء من تجهيز الطعام في بيوتهن والوقوف لساعات في المطبخ بين إعداد الوجبات تلك تنظيف الأوانى

يمكن أن أقدم لنفسى الطبق الشهى الذى سيمنحنى لذة

فيهدأ ألمى ولكن أن عادونى ثانية ؟! أركض حيث يوجد الطعام وأظل أأكل ؟

الشعور بالألم يغيبه الإحساس بأى لذة ..

يمكن أن يكون السبب وراء الشعور بالألم هو الإحساس العميق أو المفرط تجاه ما يحدث من حوالنا وأظن أن قليلا من الإحساس يكفى بل قدر من الإحساس يفى في المواقف ومع الأشياء والظروف المختلفة دفعا لتسرب أى شعور بالألم

فإن كان للطعام لذة تعطل وتهدىء شعورنا بالألم فالجوع له ألم يربك أغلب مشاعرنا التى تتولى لذة الأكل تسكينها أحيانا..

لما أتعاطف مع كريمة ؟!.. أليست قاتلة

هو إذن من جديد الإحساس ! الإحساس العميق أول دروب الأسى وفخ تكالب كافة الهموم والشجون

كريمة قاتلة وستموت بأى حال وعلى نحو ما .

***

أشعة الشمس تكافح من خلف الستائر لتنتشر في الأرجاء فيما تطغى مسحة من حزن وكأبة وتلف الأجواء و في جانب من الصالة الفسيحة تعيد إحسان ترتب المكان بألية وهمة في صمت بينما تتناول أمانى الشاى في جانب وهى تراقب بعينها إحسان خلسة ووجهها متلون متوحد مع الأسى والأرهاق معا وترمقها بنظرات عاتبة .

يتمدد محسن بملابسه على سريره بلاغطاء وقد ألقى بالجاكيت على أقرب كرسى يتنبه للضوء يملاء أنحاء الغرفة من حوله فيهب في مكانه ويتلفت حوله ثم يعاود التمدد في مكانه مغمضا عينيه ..

تتمايل أغصان الشجر ثقيلة بعض الشيىء خالية من أغلب أوراقها بحركة بطيئة للهواء في فضاء حديقة الفيلا والتى تمتلاء أرضُها بأوراق الشجر الجافة مع دخول فصل الخريف وإنقضاء فصل الصيف والتى تعلو وتتطاير لمسافة قريبة ..

***

شتاء ٢٠١١ الحادى عشر من يناير ..

تتصدر لوحة نحاسية محفور أسمه عليها فى واجهة المكتب على مقطعين بخط رفيع وواضح"محسن محى الدين المنصورى للمحاماة والإستشارات القانونية"

محسن ينكفىء على أوراق بين يديه مستغرقا تماما ويميل بألية يمينا وهو يجذب حافظة و يقول بوضع الأوراق بعناية في تقع عينه أثناء ذلك على ملف بغلاف أحمر قانى يشرد لبرهة متنهدا ومن ثمة ينظر له مقاوما رغبة ما كثيرا ماتسيطر عليه ولما لايقوى يرفع جذعه قليلا ويمد ذراعه ويرفع الملف الموضوع أول طرف المكتب من الأمام فيفتحه ينظر فيه يقلب صفحاته ثم يرجعه إلى مكانه مرة أخرى وكمن فاته شيىء قد إسترعى انتباهه فيقوم بحمل الملف ثانية وبفتحه ويقَلب صفحاته ويتوقف عند صفحة بعينها ويمر بنظره على السطور على مهل وهو يحملق بإستغراب وجدية وكأنه يقرأ لأول مرة وملامح وجهه يغشاها الأسى والشجن .

***

بساعة متأخرة من الليل يجلس محسن في جانب من الحديقة وحده تحيطه إضاءة خافتة من عمود إنارة فى زواية بالقرب منه يشعل سيجارا وبجواره فنجان قهوة فارغا ومطفئة السجاير مكدسة بالأعقاب يتطاير الدخان في الهواء ينظر محسن أمامه بضياع وحيرة ومن أمامه يتمدد فضاءا في أنحاء الحديقة بالتوازى مع إتساع السماء رأسا ونسيم الليل البارد يعبر ملامح وجهه بخفة وهو مشدوها شاردا هاربا من أفكاره وخواطره ،كل شيىء فى عينه بدا صغيرا وهشا وضئيلا إلا ما يرسو على صدره مازال هائلا ثقيلا

وتفر الدموع على وجنتيه مستشعرا الوحشة والهزيمة ويبلع ريقه بلوعة وحنين

***

دقت الساعة الثامنة والنصف فيما تعد حسب توقيت العمل بمكتب محسن أنها تجاوزت ساعة زروة العمل بقليل وتظهر من الباب سهيلة إمراة في منتصف الثلاثين لها عينان واسعتان بنيتان نظراتهما معبرتان وحاجبان طويلان بنيان كما لون شعرها تمتلك قواما أنثوىا يجذب الأنظار ترتدى ملابس أنيقة بين الحشمة والإبتزال ! بلوزة خضراء داكنة بياقة وصف من الأزرر المقفلة وأكمام طويلة وجيب سوداء طويلة بفتحة تقترب من طول البلوزة جهة ساقها اليسرى تنفرج قليلا مع الحركة وبأكملها مع المشى تدخل مرتبكة قليلا تتجنب النظر لأى شيىء من حولها بالمكان عينها على باب غرفة محسن تدفع الباب الزجاجى في إعتيادية وتتجه مباشرة إلى مكتب ندى السكرتيرة

سهيلة :

-مساء الخير

ندى :

-مساء النور

سهيلة:

- لدى موعد مع الأستاذ محسن

ندى :

-حضرتك أستاذة سهيلة شلبى ؟!

سهيلة :

- تمام..

ندى :

-لحظة أبلغ الأستاذ أن حضرتك وصلتى

سهيلة :

- أوك..

تطرق ندى باب غرفة محسن وتدخل بينما سهيلة تقف مكانها متحيرة تترقب خروجها وما أن تخرج وهى تؤمى مبتسمة بود وترحيب

ندى :

- تفضلى ..

فتبتسم لها سهيلة بلطف مبالغ فيه وترسم على شفاهها إبتسامة

سهيلة :

- ميرسى

فتتقدم بإتجاه مكتب محسن ثم تطرق الباب وتتبطأ قليلا قبل أن تدخل لتغلق من خلفها الباب في حين تعاود ندى مواصلة عملها ..

سهيلة تقف خلف باب المكتب من الداخل تنظر على محسن الذى يجلس خلف مكتبه ينظر فى أوراقه متحاشيا رفع بصره والنظر إليها هى تتطلع إليه بود و تقف في مكانها تتأمله بشوق

دون أن يغادر بصره الأوراق يقول بنبرة ودودة

محسن :

-إجلسي ياسهيلة

ولكنها تظل واقفة فيرفع بصره ناحيته من وضعيته مستغربا فتترجل في دلال مشوب بقلق وحذر وتقوم بتطويع رقبته بذراعيها وقبل أن تميل على خده وتقبله يهب واقفا تقبله وهى مازالت تحتضنها ممسكة به بقوة تتأمله بلهفة و بعتاب فيرتبك فتفلته وتبقى مكانها بينما هو يبتعد قليلا ويسير خطوات ليتوقف قبالتها أمام المكتب وينظر لها بلوم وإستياء فتبادر قائلة فى تأثر وجدية..

سهيلة :

- ألمنى بشدة كل ما حدث!..البقاء لله ..

لقد أوجع قلبى ما حل بأسرتك !.

فينظر لها شرزا ويكتم ضيقه ويهز رأسه في سخط وضيق مما قالت رافضا أن يسمع منها شيء

فتتوقف سهيلة عن الكلام تتنظر ما سيقول وبالفعل يتجاوز كل ما قيل موجها الحديث لأتجاه أخر ..

محسن:

- أخبارك ايه ؟

فتجلس على مكتبه في إصرار منها على مواصلة ما تود قوله له

سهيلة :

- أنت قوى يامحسن.. ولديك القدرة لتتجاوز كل المحن

وأعتذر إن كنت ذكَرتُك بما جري

عند تلك الجملة يمتقع وجه محسن بشدة ويبسم ساخرا وتطل من عينه نظرة أسى

تتأمله سهيلة بحذر وترقب قائلة

سهيلة :

- لما تهرب من عينى؟!.. وقبل أن يلتقت يختلق أمرا ويخرج من المكتب مسرعا فتهب سهيلة في مكانها وقد ساورها القلق على محسن لكنها تتراجع عن اللاحاق به فتتماسك وتأخذ مكانها الأول أمام المكتب وتجلس في

هدوء وجدية على الكرسى وهى تلتفت لخارج المكتب تتوقع دخول أحد العاملين أو مرور أحد المحامين من أمام المكتب وتفرك يديها بتوتر وتمتلاء عينها بالحيرة والقلق لما يبدر لها من محسن

بعد لحظات قليلة يعود محسن ووجهه مبلل يغشاه غضب عميق ينعكس في نظرات عينه فتقف سهيلة في مكانها ما أن تلمحه يدخل وتتأمله بلهفة وقلق ومحسن يقف مكانه يرفع كوب الماء يشرب منه رشفات يبتلعها بصعوبة محاولا بدء حديث معها بينما الحروف تبدو تائهة لايتمكن من الإمساك بها وتمر برهة يدور خلالها حديثا داخليا لدى محسن والذى يلتفت بعدها إلى سهيلة يتطلع في هيئتها قوامها وجهها شعرها كأنه يراها لأول مرة وهى صامتة تماما لاتتفوه بكلمة مأخوذة بحالة محسن تنظر له بإستغراب وهى تتنهد..

يباغتها محسن بالتطرق الى ما يعلم أنه سيروق لها

محسن :

- مشغولة غدا؟

تلتفت إليه في تعجب ولاترد

-نتناول الغداء معا ؟

تهزسهيلة رأسها ولاترد

يرتبك محسن فهو يدرك سبب صمتها حتى ماتفكر فيه لكنها لن تتوصل لما يفكر فيه محسن فهو لم يستقر بعد ويعرف ما يريد

ترسم سهيلة ابتسامة على شفتيها وتقف في مكانها وهى تهم بالإنصراف فيوقفها محسن

محسن :

-لم أطلب مقابلتك هنا لما تبادر إلى ذهنك أو..

فتنظر له بترقب وإمعان

فيقول في وضوح وتأكيد

- تتمنين!

فترفع حاجبيها وتهز رأسها بضيق

محسن مردفا فى محاولة لطمئنتها

-بعد الغداء سأخبرك

تندهش سهيلة ولأول مرة تستشعر أنها ما عادت تفهم محسن

وتخرج سهيلة وهى تؤمى برأسها موافقة وتردف قائلة ..

سهيلة :

- لاتطلب أى نوع من الأسماك قبل أن أأتى ..

فيميل برأسه في إمتنان وتغادر سهيلة المكان ..

***

إحسان في غرفتها الخاصة تجمع متعلقاتها وأغراضها وهى في حالة سخط وإستياء وتهمهم بإستنكار وهى تدفع أشيائها إلى داخل الحقيبة الصغيرة والتى تحكم غلقها وتخرج ..

تجد محسن ينتظرها وقد دار على مايبدو حديثا بينهم ينظر لها برجاء ولكنها عازمة وتقول بإنفعال

إحسان:

-أنا أسفة ياأستاذ محسن فأنا متعبة وأحتاج إلى فترة راحة طويلة ولاأحب أن أتغَيب عن العمل يوما وأجىء أخر

فيقاطعها معاتبا ..

محسن:

-ولكنك ليست متعبة و لن ألح عليك ثانية ..فهذا بيتك ..ووقتما تريدين العودة

أهلا بكِ

بنفاد صبر وهى تتجنب النظر في وجهه وبنبرة إستنكار

إحسان:

-شكرا لك .. استاذنك

محسن يود لو تتراجع فيتأملها بعتاب وتأثر لكنها لاتهرب بعينها وتنظر جانبا ثم تمضي على مهل باتجاه الباب تحمل شنطتها المكدسة بأغراضها الخاصة ومحسن ينظر عليها بتفَهم فى تأثر بالغ..

تخرج أمانى من الداخل ويبدو أنها كانت تنتظر لعل محاولة أخيرة من محسن تفلح في إثناء إحسان عن قرارها المفاجىء بترك العمل في بيته وأمام ما تراه من تأثر

وأسى على وجه محسن تحاول إيجاد كلمات تزيح بها ما بدا عليه

أمانى :

- سترتاح لفترة وتعود ..إحسان إنسانة نقية وحساسة لعلها متعبة بالفعل

فيقاطعها محسن بيقين تام ..

محسن:

-بل لن تعود .. إحسان تأثرت وغضبت فور علمها بنيتى في الزواج قريبا

-أمانى ليس من حقها أن تغضب .. إحسان مديرة المنزل وليست ..

يقاطعها محسن وهو يتوقع ما ستقول أمانى فيتجه لأعلى وهو يقول

محسن :

- العشرة غالية ياأمانى ..

فتستقبل ما قاله على مضض وتلوذ بالصمت بأريحية ما فضلتها على الإستمرار في الحديث ..

يفتح محسن باب غرفة النوم بإعتيادية في هدوء فيلحظ بعض التغيرات في جانب فيتجه مباشرة إلى الدولاب ويفتح إحدى دلفاته فيجدها خالية فيفتح الثانية فيجدها خالية أيضا ويفتح الأخيرة يجدها خالية الدولاب خاليا من أى أغراض وملابس يغضب بشدة ويندفع خارجا من غرفة النوم في ثورة ينادى بحنق وغضب

محسن :

-أمانى ؟!!

فتتوقع أمانى السبب فتطل من مكانها بالطابق الأول بينما هو يقف على أعلى السلم بجدية وتفهم لثورته

أمانى :

-كان أولى بك أن تفعل هذا .. تخلى الغرفة وتفرغ البيت بأكمله من كل مايخصها وليس من ملابسها فقط يامحسن!

تنطلق كلماتها كالخناجر تستهدف روحه وقلبه ونفسه ولولا تماسكه وكبت غضبه الهائل لهوى على درجات السلم وسقط !

أمانى :

- لمًّا تأخرت كل هذا الوقت فمازالت أشيائها وأغراضها بكل غرف البيت وبالحمامات وحتى في المطبخ ؟!

هل كنت تنوى جمعهم والتخلص منهم أم تركهم حتى تأتى زوجتك الجديدة؟!

يلتفت بسرعة ولايرد عليها !.

هرب محسن من أمامها فهو لايحتمل سماع المزيد يرفض الإشارة بكلمة إلى كريمة التعدى على متعلقاتها أونفى أغراضها من بيتها فقد هوت كل كلمة قالتها أخته على قلبه لم يقوى على مجابهتها بأدنى قدر من قوة الغضب التى تملكته ليراجعها على ماقامت به بحق أشياء كريمة !

عاد محسن إلى الغرفة مسرعا عبر الباب وأغلقه من خلفه هاربا مما سمع يسيطر عليه الغضب والأسى والحيرة ولاذ بجانب الغرفة وهو لايدرى ماذا يفعل تحديدا أمام كل هذا الحزن الذى يتحرك من مكانه بلا مقدمات ولا سابق موعد وينثر الوهن واللوعة والألم في كل جوارحه

لما يظن من يحبوننا ويحرصوا على راحتنا أن جروحنا القديمة قد ألتئمت تماما فثمة جروح تظل حية لاتحتمل مجرد الإشارة إليها .. حتى من يحبوننا قد يرتكبون بلاقصد نفس الجرم ويطلقون السهام على قلوبنا ..

الجميع على إختلاف نواياهم ومقاصدهم ليس لديهم من موانع واضحة في إيلامنا!

محسن غارقا في حالة شجن وشرود يضع قبضة يده اليمنى أعلى صدره فوق قلبه تتوازى خطوط جبهته في حالة إستنفار والأسى يغطى وجهه يتنبه على طرقة خفيفة على باب الغرفة وقبل أن يلتفت يحاول لملمة نفسه والسيطرة على حالته وإستبادلها بأخرى فرفع يده من على قلبه ويتظاهر بأنه يفتش عن شيئا في الدرج فيجد بالفعل صورة لكريمة فيحملها متجاهلا الطرقات على الباب وقد سرى في جسده فرحة غامرة وسرور مفاجيء مشوب بسيل من الدموع التى تقف في حدقتى عينه

وتدخل أمانى وهى تتأمله بتأثر معتذرة وقد أدركت أنها قد أغضبته .. تدرك ما يكنه رغم كل ما حدث من مشاعر لكريمة

ومن مكانها ..

أمانى :

- أنا أسفة ..أسفة يامحسن.. أنا فقط كنت بأكد على حقك في

بداية حياة جديدة مع..

ويقاطعها بتفهم وتخرج الكلمات ثقيلة منه

محسن :

- أتفهم ما تقصدين ..

فتتأمله بشفقة قبل أن ترد الباب متراجعة للخلف ..

محسن يلتفت وهو يمسك صورة كريمة ناظرا حيث خرجت أخته بإمتنان كبير وفرحة تمتزج بالأسى واللوعة معا

أمانى تهبط على السلم وهى تلتفت للخلف محدثة نفسها وهى تتنظر بتشكك وخيبة!متسائلة

أمانى:

- لما سيتزوج إذن وهى مازالت بقلبه ؟!..

وبغضب وإستنكار وتتوقف مكانها على السلم على منتصف إحدى درجاته

-تحبها بعد كل ما أحدثته بحياتك وسببته لك؟!..

هل كان يحبها .. وبضيق في حنق ..

إنه لايزال؟!

وتواصل هبوط الدرجات ببطء

-كان أولى به أن ينزعها نزعا من قلبه يوم أقدمت على جريمتها بحقه هو و أبنه !..

وبإستدراك وتخمين وضيق وحيرة..

أظنه كان يحمل صورتها ؟!

قد تكون الصدمة هى من تسببت له في حالة من التشويش على مشاعره ؟ ..أن إدراكه لما حدث يؤلمه بلاشك .. وقد يكون مشفقا على قلبه ولايقوى على إيلامه بنزعها منه سريعا

ولسوف تقوم الأيام بما يلزم فالأيام لاتبقى على ذكرى سعيدة ولا أليمة هى تبتلع وتطوى كل شيىء

لو أعطانى الفرصة في الحديث أن أسأله عن من هى التى سيتزوجها وبتلك السرعة!.

أكان يعرفها ؟..

تنظر بتشكك وضيق خلفها على اتجاه وجوده في الغرفة بالأعلى ثم تلتفت وتتجه إلى الداخل..

***

محسن يهوى بجسده على الكرسى قبالة المرآة وهو يمسك بصورة كريمة بين يديه يقربها إليه ويتأملها بفضول وعيناه مليئة بمزيج من الإستفهام والإستنكار والدهشة والعتاب ويغيب شاردا في أفكاره وخواطره وشجونه تمر برهة وعينه ثابتة في إتجاه دلفة الدولاب المقابلة للسريرينظر إليها من خلال المرآة وترتسم إبتسامة على شفتيه وتطل فرحة بعينيه ويدوى في صدره والى سمعه صوت ضحكة ناعمة صافية تفيض حنان ورقة

صوت كريمة : محسن ؟ محسن

محسن : حياة محسن

صوت كريمة : سأقع يامحسن

محسن : أنا من وقع ولكن لاتخافى ما بقى إلا بضع سلّمات

صوت كريمة :وأن رأنا أحد؟!

محسن: زوجتى وأحملها!

صوت ضحكاتها فى غنج ودلال صوت رائق صاف دافىء

وتغيب عينا محسن بعيدا وسط أمواج الخيال وإلحاح الذاكرة

محسن يدخل غرفة النوم فرحا يحمل كريمة بين ذراعيه متأنقا ببذلة الفرح و هى بفستان أبيض من الدانتيلا مطرز ومحلى بفصوص متناثرة على الورود وبمنتصف خيوط رفيعة متعرجة بهيئة فروع شجر بكومين كبيرين يشفان عن بشرة بيضاء وفتحة صدر متسعة تكشف عن ثائران يربضان في شموح وحذر يتوقا للانعتاق يستقران على إمتلائهما الواضح في ثبات وترقب يتدلى من عنقها المنتصب في غرور وإغراء عقدا رفيعا تضوىء حباته وسط محيط إمتداد الصدر حتى سطوة حدود الكتفين ما أن يفلتها فتقف أمامه يهبط محسن على شفتيها المكتنزتين فتحتضنه في لهفة وتذوب في أحضانه يطوقها بيد محكمة حول الخصر والثانية أعلى كتفها تمتزج الأنفاس وتتلاحق دقات القلب وترتفع حرارة جسديهما ..

تفر دمعة على وجنته وهو مازال يبتسم وبريق لامع يستقر بمقلة عينيه التى تتيه نظراتها في الفراغ على مد بصره تتراءى له

كريمة وهى ترتدى فستان قصير لونه أحمر بحمالات عريضة من الستان الأسود بوسط محكم على خصريها يصل لتحت ركبتيها وعقدا أحمر يتدلى من رقبتها على صدرها الذى يتمايل بعنف وهى تهرول غاضبة أثناء صعودها على درجات السلم وهى تمسك في حرص بكف طفل في الخامسة قوامه رقيق متناسب لعمره له وجه مستدير ملامحه دقيقة وصغيرة شعره بنيا ناعما يتهادى منه خصلة على جانب من جبهته الصغيرة عيناه واسعتان تشعان جمال وبراءة و يتبعها في عفوية وإنصياع تجذبه كريمة لأعلى تهرول غاضبة يقف عند أول السلم محسن ينظر على محسن بسخط وكريمة تلتفت على محسن ترمقه بنظرات لوم وعتاب وتتجاهل حالة الحنق المستبد به وثورته على الطفل يعنفه ويزجره بشدة وغلظة

محسن : محي ؟!..ولد؟

فيتوقف ميمو فى مكانه ويلتفتا هو وكريمة ينظران إلى محسن

وبنبرة برئية قلقة..

ميمو(محى): نعم يابابا

محسن : إن تكرر منك هذا ثانية ..(بتوبيخ) فتقاطعه كريمة تنهره..

كريمة : محسن ؟! ..

فيصمت محسن وهو مايزال ينظر لميمو بتوعد وغضب والطفل منكمش في مكانه يفرك كفه في يد كريمة يقبض على أصابعها مستشعرا بأمان

ينعكس في نظرة عينه الواثقة والتى أخذت تهدأ رغم أنه ينظر لوجه أبيه الغاضب ! وتصعد به إلى أعلى تفتح باب غرفة على يسار السلم وتدخل

محسن ينظر عليهما بضيق ونفاد صبر ويصعد السلم ويدخل الغرفة المجاورة للتى قصدتها كريمة وميمو

محسن يدخل من الباب يغلقه خلفه ببطء وهو يحاول إسترجاع ما حدث ينظر بقلق وضيق يتنهد فى حيرة

يهم بخلع جاكيته ويفك رابطة عنقه ويضعها فوق الجاكيت على ظهر الكرسى أمام المرآة وما أن يلتفت حتى يجد كريمة تدخل من الباب , تغلقه وتتقدم بإتجاه محسن وهى تتأمله بعتاب وتأثر وعينها تمتلاء بالدموع تقول بصوت عاتب

كريمة :

-كل مرة يامحسن ؟! تثور عليه وتوبخه

رجوتك كثيرا ألا تعنف ميمو

محسن يزفر بضيق وقد سأه ما ظهر فى عينا كريمة من دموع وتأثر على وجهها ولكنه يتظاهر بالتمسك بموقفه ثائرا غاضبا فيلتفت متحاشيا النظر في عينها وهى بتلك الحالة!..

كريمة : الولد يخاف منك ..يجرى ليختبىء إن راك تنفعل أو تتحدث وأنت غاضبا

و كلما جاءت أمه ورأيتها تثور عليه وتعنفه؟!

ميمو يخاف أنه تنفعل على أمه إن وجدتها تجلس معه

وهو يلتفت ببطء

محسن :

- تصرفاتك هذه خطأ..لما تسمحى لأمه بالمجيء إلى هنا ؟! وجلوسه معها كل الوقت وكأنه بيتها ؟! أنت تعلمى إلى أى مدى هذا يثيرنى

إنها تتحدانى تمكث وتطيل البقاء إلى أن أعود حتى أراها وكأنها تقول لى أنها هنا في بيتك ومع إبنى !..

كريمة :

-من أجل ميمو يا محسن!

محسن :

-نبلك مبالغ فيه ..كما وأن رقتك المفرطة هذه ستؤذى الولد

وفي حنان ودلال

كريمة :

- إبنى وبن حبيبى

يتلاشى بقايا الغضب وتحل السكينة والأمان بداخله تنعكس في نظرات عينه الوادعة يتنهد في إرتياح ويتقدم مباشرة ناحية كريمة فتميل على صدره تستنشق تفاصيله تتحسسه بأصابعها صدره ورقبته فيقبض عليها بذراعيه يجذبها بلهفة إلى صدره

يهب محسن واقفا يتلفت حوله في الغرفة الخالية إلا منه ومن فيضان ذكرياته وتدافع شجونه وبينمايمر من أمامها تتلاقى عيناه ببعضهما في المرآة يتفحصهما في وجوم وإستياء ومن أقصى العمق منها تغيب عيناه إلى بعيد

صدى صوته يدوى في إذنه وعينه غائمة ..

صوت محسن: أتركيه فهو قد نام

صوت كريمة :

- وحشنى .. وحشنى

وصوت أزيز خفيض لباب يفتح وصوت هرولة يعقبها صوت قبلات وفجأة صوت ميمو يرن بالفرحة في براءة مرددا نداء

ميمو:

ماما؟! .. ماما

صوت كريمة :

-حبيبى ميمو أنا هنا .. جئت ..عدت ياميمو

صوت قبلات تمتزج بصوت بكاء كريمة وصوت تهليل ميمو وهو يبادلها القبلات

تنساب الدموع على وجنتى محسن حارة بلا توقف تبلل وجهه تتلاحق أنفاسه ويسعل بصوت متحشرج

***

فى المساء وكعادته من كل يوم يقوم حجاج بإعادة تجهيز المكتب لبدء يوم عمل جديد به وليكون مهيىء لإستقبال العملاء من موكلين وزوار يتحرك متنقلا من جانب الى أخر يمسح رفا ويعيد كتابا ويضبط زواية مقعد فى همة وجدية وما أن ينفد يتلفت فى أرجاء المكان يتمم على ما قام به وتدق الساعة السادسة مساءا فيلتفت ناحيتها فى إعتيادية ويتوجه الى الباب الرئيسى للمكتب ويقوم بفتح الحديدى الى الجانب ويترك الباب الزجاجى بديلا عنه كاشفا المدخل الكبير المؤدى الى المكتب من الخارج وباب الأسانسير المقابل مباشرة للمكتب ثم يتجه فى إستنفار الى جانب للداخل بخطواه السريعة

***

بإقتراب الساعة من الثانية والنصف بعد منتصف الليل و قد بلغ التعب بمحسن حدا لم يقوى على مقاومته بعد يوم أخر من العمل بالمكتب فخلع جاكيت البدلة ووضعه على المشجب وبيده حرر رقبته قليلا من إحكام رابطة العنق وتمدد على الكنبة إلتماسا للراحة ،يسترخى فى مكانه يغلق عينيه واضعا يديه فوق بعضهما على صدره ويغرق فى أفكاره وخواطره تنبسط قسمات وجهه وترتعش شفتيه فى لين ولطف تبدوان وكأنهما تقبل

كلا منهما الأخرى! ويفتح عينه فجأة وبريق يعبرهما وترتسم إبتسامة ساحرة على شفتيه أخذا فى التحليق بعيدا يستشفى على طريقته يذهب الى حيث يرتاح يغمغم..

كيما .. كل ما فى كيما يثيرنى يستعبدنى و يستنطق فحولتى كل مايكون منها يؤثرنى همسة إيماءة إبتسامة وماهو بقصد أو بدون قصد ،لن أنسى يوم رأيتها أول مرة وما جرى لى ،كم جذبنى هذا القوام المعتدل فى إمتلاء والجميل فى إكتمال وصرت منشغلا بها أفكر فيها بإستمرار حتى أنى إنطلقت متوددا إليها محاولا أن ألفت إنتباهها إلىّ كان يثيرنى طريقتها وهى تبتلع ريقها وهى تتحدث الى الموكلين فى المكتب كنت أكره أن أرى عين غيرى تبصرها ،كان كف يدها الذى يصافح الأخرين يهوى على نخوتى كيف تصل الى بيتها وتعاود المجىء الى هنا فكم عدد من يراها ويتطّلع إليها ، شعرت بالغيرة من كل من عين رأتها قبلى تسألت !..هل هى مرتبطة ؟ لاأظن جمال نقى كهذا أنت تكون صاحبته متزوجة ؟ هل هى مخطوبة أوتحب احدا ؟لا يمكن أن تكون مرتبطة بخطوبة أو بحب فلا من رجل غيرى يقدر ماهى عليه ولا يكون بأى حال أهلا لهذا الجمال والسحر. يوم رأيتها لأول مرة كانت بنفس القوام المتناسق والهلة الأخاذة والطلة المشرقة لم تتغير كيما تقدس جمالها ترعاه وتهتم به إنها زهرة تتفتح بإستمرار ثمرة تنضج على مهل جميلة فى مشيّتها فى تمددها على وجهها فى إستحياء وفى ثورة غضبها إلا من بكائها كان يعذبنى ويطمئنى فقد كنت أستشعر عندما تبكى فهى التى ترجونى أن تبقى معى تلتصق بى بيد أنى أعلم أنها تحبنى فقد كان يراودنى إحساس يؤلمنى بأنها قد تذهب بعيدا عنى كان هذا يعذبنى فأستشعر مدى ضاءلتى وضعفى ناحيتها فكنت أتركها تبكى لتتساقط دموعها على مخاوفى تطفئها كان ينبهنى لبكائها الشديد

إحمرار وجهها وتغير صوتها وسخونة شفاهها فكنت إقبلها وأمتص هذا اللهيب بداخلى ماكانت تفهمنى فى بعض الأحيان!.. وأظنها معذروة فأنا أحيانا ما أتوه عن نفسى ولكنى كنت أعتمد ذلك لأننى أرتاح بشدة وبعمق .

أخذت كريمة قلبى وذهبت فتشت عنها يومها وددّت لو أسال أى أحد وكل شيىء حتى مالايملك لسانا ليرد علىّ به وشعرت بالحرج فقاومت نفسى وصبرت حتى الصباح وسألت عنها أول من رأيت زميل لنا فأخبرنى أنه لايعرف عنها شيئا ودلنى أن أسأل عنها أخرين ولكننى ترددت فما أن ظهرت توجهت ناحيتها وكانت جالسة تحتسى على ما أظن نسكافيه فقلت لها

-أنتِ مرتبطة فهبت واقفة وصدرها قد أهتز وهى تنفعل وددت لو تهوى فى أحضانى لكنها ظلت واقفة تمطرنى بنظرات الدهشة والذهول قلت لها أريد الزواج منك فلم ترد وأرتبكت بشدة وأحمر وجهها خجلا وضحكت ساخرة ثم جلست مجددا وهى توارى وجهها عنى وبإلحاح طلبت عنوان بيتها وإلتمست أن تحدد لى موعدا مع أبيها أن كان ليس لديها أى مانع من الزواج بى كنا فى حالة ذهول معا !..

تزوجت كريمة بعد صد منها وإلحاح منى وإصرار وحاولت كسب ودها كانت تصدنى متوجسة منى مما قد يكون تناهى الى سمعها عنى من أقاويل! لاتعرف الخسارة طريقى فأنا أما أن أكسب أوأكسب !

لا أتقبل أو أتسامح أمام عائق أو مانع عوائق أو موانع ولاأى ظروف فمأريده أشير إليه بملء كيانى لأفوز به وقررت أن تكون كريمة لى

أخذتنى بعفويتها وصدقها وقلبها الكبير ناعمة مهذبة وودوة لمسة يدها تهدأ ثورتى وإلتفاتة منها تشعل بى النار فهى مثيرة بعفوية بالغة مرهقة على الدوام كل يوم يمر تلتصق بقلبى أكثر الإنتصار الكبير أن تكون هذه المرأة في حياتى

لم أكن أدرى أن حظوظى في الحياة مهماكانت ستختزل في إنسان ،إنسان حقيقى قادر على أن يمنح ويعطى من عواطفه ومشاعره بكل صدق

لم أقسى عليها إلا بقصد ! فهى بدورها لا تقدم على فعل ما يدفعنى لتعنيفها أو القسوة عليها

وأنما قسوتى عليها كانت لأهدأ من الداخل فكلما أحببتها أكثر وغمرتنى من إنسانيتها ونبلها أخاف أكثر وكلما سامحتنى كنت أرتبك وأضطرب بشدة !

إذ تسيطر عليا فكرتى الأكيدة في أن إحتمالها لعيوبى سيضعف مع الأيام وإن كنت أراجع نفسى كثيرا بصدد هذا وأشكك فيه لأنها لن تقوى على تركى فهى تحبنى ولكنى أحبها أكثر..

كان يغرينى رؤيتها وهى قلقة على علاقتنا والخوف من أن أتركها وأذهب لأخرى كنت أفضل أن أراها تبكى !.. تبكى فقط من أن تمتلك غيرها قلبى ولكن دون أن تتألم فأنا لاأقوى على أن يحدث لها هذا !..

أيامنا كانت ملونة ودافئة كان لدى كريمة الكثير لتعطيه وتمنحه كانت مثل شجرة دائما الإثمار

أستحق كريمة ولا أشكك في ذلك ولكن لأن لا شيىء يبقى للأبد كما هو وإنه حتما سيأتى يوما وتتركنى وتذهب !..

وكلما إستشعرت أن شيىء من الخوف يعتريها أو الغضب والثورة بشأن حياتنا وعلاقتنا

كنت أشتهيها أكثر فأقترب وألتصق بها أكثر

تزوجت والدة محي بعد عام من الطلاق من زميل لها في العمل أحبا بعضهما البعض وتزوجا!.. وأخذت إبنى منها وكان عليا أن أختار له أما و زوجة لىّ ولكن أن أضطر لأن أتزوج لأوفر من ترعى طفلي لم تكن ملحة بأى حال لدى كما لا تروق لى لا أريد أن أنضم لطوابير التعساء من حولى فأجّلت الزواج لفترة ثم لأجل غير مسمى !

فلا يرقى مع طبيعتى إلا إمراة تمتلك من العاطفة والجمال ما يؤثرنى أنا عاطفتها تشمل طفلى وتشملنى أما جمالها فبهجته لى ووجدت كريمة

عندما أخبرتها بأن لدىّ طفل ترددت قليلا بقبول الزواج فأصطحبته معى الى بيت والدها لأعرفها على محيى الدين فأحبته وأحبها حتى أنه كثيرا ما كان يهيىء لى أنه لو كان له أخا منها لم تكن لتحبه الى هذا الحد ..

فيومها تفاجئت من أنه طفل صغير بن عامين فقط ربما كانت تظنه رضيعا !..أم أن وجود طفل لدىّ رجل يقدم على الزواج الثانى يعد معضلة ؟!..كانت عاطفية وحنونة الى أبعد مدى

كم كنت فخورا بإختيارى أن صارت له أما حقيقية ولى الزوجة الرائعة وسارت حياتنا هانئة ودافئة ومستقرة وكلما تيقنت ولمست كل هذا كان ذلك الشيىء يتحرك بداخلى ويؤلمنى فأعاود تسكينه وإسكاته فأُقابل منها بثورة لاتهدأ وغضب لايسكت وتوبيخ وتهديد منها فى كل مرة تكتشف فيها خيانتى وكان يحيرنى كيف تعلم النساء بأمر خيانة أزواجهن رغم كل الحرص والحذر والحيطة ؟!

فما أن تعرف فتهب العواصف على حياتنا والتى لم تكن لتهدأ بسهولة ثورتها كانت شديدة وتأثرها مفرط ومبالغ فيه لما تذبل هكذا وتبكى كثيرا وكان هذا ما يزعجنى للغاية لأجلها ولأننى أحب أن أراها على الدوام مضيئة وبحال جيدة

وبأى حال لم أكن أنا الرجل الوحيد الذى يعرف أخريات على زوجته إلا أننى الوحيد ربما الذى كانت تعلم زوجته بهذا فى كل مرة!

هل كل زوجة تعلم بخيانة زوجها لها مع أخرى تؤذى نفيها بهذا الشكل ؟!..

كنت أنكر وأنكر وكانت تثور وتغضب وتبكى فأعتذر وأظهر الندم الكبيرعما ظنته فىّ وسببّ لها كل هذا !..لكن كان ضميرى يؤلمنى حقا أن تشكو لى من تألمها وحرجها البالغ من بعض زوجات أصدقائى و زملائى الذين كانوا على علم من أزواجهم بأى جديد من علاقاتى فكن يوصلن لها هذا بطريقة أو بأخرى

لما تحذو النساء تجاه بعضهن البعض مثل هذه الأفعال ؟!

لو فكر الرجال مثل ما يفكرن ويتصرفن لهزم الرجال بعضهم البعض

وكثيرا ما تهربت كريمة من الحفلات التى تجتمع بها زوجات بعضا من أصدقاء لى بعينهم دفعا للحرج وحتى لاتتعرض للهمز واللمز من بعضهن ! ..قد حكت لى مرة أو أكثر عن حدوث ذلك الأمر معها !..

كثيرا ما كانت تنغص عليها وتلح غزيزة الأمومة التى كانت تستيقظ لديها من وقت لأخر كنت أشفق عليها من تألمها العميق لعدم قدرتها على الإنجاب

فكثيرا ما كانت تبكى وتتأثر بشدة فتذبل وتضعف فأمرض أنا إلا أننى وجدت الحل في ميمو ومع الوقت تخلصت هى من هذا العبء الثقيل على نفسيتها وعلىّ أنا أيضا وصار هو إبنها بالفعل قلت لها وصدقا أنها لو أنجبت عشرة أولاد ما أحبها واحدا منهم مثلما يحبها ميمو كما أظن في أنها أيضا لم تكن لتحب أحدهم بنفس قدر حبها لميمو وتناست مع الوقت أمر الإنجاب والذى كان يعاودها الحنين إليه على فترات متباعدة يخبو ويختفى..

***

موسيقى الجاز الصاخبة التى تتداخل فيها نغمات أكثر من ألة موسيقية يتردد صداها مع نسمات الهواء الباردة في حين يقترب الجرسون ويضع عشاءا فاخرا متنوع الأصناف والألوان يتصاعد البخار من قطع اللحم المشوى وتهتز حبيبات من التوابل الملونة على وجه طبقى الحساء الموضوعة أمام كلا منهم على الطاولة فيما بينهم وعلى الرغم أنه نفس المطعم بنفس المول وذات الشارع والمنطقة التى إعتاد محسن من وقت

لأخر أن يتناولا الغداء وأحيانا العشاء مع سهيلة به إلا أنها تبدو مستغربة للمكان والأجواء المحيطة وحتى وجوه الناس التى تملاء المكان تجلس قبالة محسن تحدق به تنظر مباشرة إلى داخل عينيه وكأنما تفتش عن إجابة لسؤال يتردد في رأسها إلا أنها ترجىء الإفصاح عنه شفاهها فمها مطبق بشفتيها المكتنزة في لمعة صارخة

تحمل طبقة سميكة من روج باللون الزهرى الداكن ،سهيلة ترتدى فستان سواريه أزرق لامع ويتدلى من رقبتها إلى أول صدرها عُقداً من الألماس تتوسطه حلقة مفرغة حوافها مرصعة بالفصوص و شعرها الأسود اللامع مشدوداً من أول جبهتها إلى منتصف رأسها وبقيته عُقص على جانب من رأسها خلف رقبتها الرفيعة والطويلة فى إستدراة إلى أول كتفيها العاريين

ترفع ذراعيها اللذان كانت تسند بطرفيهما على طرف الطاولة وترجع للخلف تفسح المجال وعينها معلقة بوجه محسن الذى يجلس صامتا وكما هو بإستمرار متأنقا وشعره لامع مصفف للخلف بعناية في ألق إلا أن وجهه لايخفى زبول يلازمه يحاول رسم إبتسامة فيضم شفتيه ثم يمدهما بمحازاة وجنتيه وعينيه تنظر بإتجاه سهيلة بنظرات لاتعبر عن شيىء ربما هذا ما يضاعف من دهشتها وترقبها لأن يتكلم

محسن للجرسون :

-شكرا

الجرسون:

- تحت أمركم يافندم وينصرف للداخل

محسن يقترب من الطاولة وهو يشجع سهيلة بغمزة مازحة ويطلق ضحكة مقتضبة فتقترب هى الأخرى إلى الطاولة ليبدأ في تناول العشاء بيد لم تغادرها حالة من توجس مع الحيرة

***

حجاج يهيىء ويعيد ترتيب المكان من أجل إستقبال العملاء والموكلين وما أن يدخل محسن من الباب , يلقى عليه التحية في إعتيادية والذى يبدو متعجلاً فيهرول ناحيته وهو يرد بود بالغ في ترحيب به وحفاوة معتادة ويتأمله بقلق ومحبة عميقة ويستوقفه ما يحمله محسن بيده ويسنده أسفل ذراعه فيتفحصه متسائلا أما محسن فقد توجه مباشرة إلى المكتب فتبعه حجاج وبداخل غرفة المكتب يضع محسن البرواز الملفوف بورق مزخرف سميك على الترابيزة فيلتفت إلى حجاج الذى لحق به فيشير إلى الجانب الذى تعلق عليه صورة أبيه وتحتها بقليل إلى اليمين صورته قائلا لحجاج

محسن:

-أرفعها .. تلك

حجاج يلتفت ناحيته مستغربا يتفحص وجهه وأمام مدّ محسن لذراعه بإتجاه البرواز الذى يحمل صورته ينفذ حجاج ما قاله في إنصياع فيتجه إلى الجدار ويمد يديه ببطء وعينه زائغة تتملكه الدهشة ويقوم برفع صورة محسن من مكانها ويلتفت بها لايدرى ماذا يقول إلى محسن الذى حمل

مجدداً البرواز الذى دخل به منذ قليل وأخذ يزيل الغلاف عنه لتظهر صورة لأبنه الطفل ميمو وهو يضحك في براءة وعينيه تنظر في أمل فيقترب حجاج بعفوية ويميل ناظراً إلى البرواز فيرى صورة محي بن محسن فيشهق في تأثر قائلاً كمن يلهج

حجاج :

- الله يرحمه

الأطفال أحباب الرحمن .. دخل الجنة بلا حساب

هو فى الجنة الأطفال .. يجرى ويلعب

سمعت أن هو والأطفال مثله يسقون ويطعمون أبائهم وأمهاتهم في الجنة

كان هذا محاولة صادقة وحثيثة من حجاج للتخفيف عن محسن الذى يغمض عينيه وهو يهز رأسه بتسليم أقرب إلى حالة من اليقين

ويتقدم صوب الجدار ليعلق الصورة بنفسه في حين يراقبه حجاج في أسى وتأثر يحمل صورة محسن التى يميل وينظر عليها في تأثر ثم يضعها عن قصد على سطح المكتب وهو يهز رأسه في جدية وحزم

محسن يحدق في صورة والده عن كثب يتأملها مشدوها كأنه يراها لأول مرة وينتقل بنظره إلى عيون محي الحفيد بداخل البرواز في الصورة يحدق فيهما بفم مطبق وعين جاحظة تحدق فقط في صورة والده تارة وأخرى في صورة ابنه تتزاحم الأفكار في رأسه يذم شفتيه للأمام وينظر لهما معتذرا مستشعرا بخيبة لاحدود لها

يقطع عليه لحظته صوت حجاج الذى يقف متجمداً في مكانه تؤثره مشاعر الشفقة والتأثر بيد أنه يتحاشى النظر ناحية محسن مطلقا

حجاج:

-حضرتك تأمر بحاجة؟!

يستدرك فيبتلع ريقه ويخرج صوته مشروخا مثقل بألم

محسن :

-لا..

حجاج :

-حاضر..

ويخرج حجاج يجر قدميه محملا بالشفقة والتأثر لحال محسن

في تلك اللحظة يظهر إيهاب الذى يجد باب غرفة المكتب مفتوحا فيلمح ما يجرى فيظل لدى الباب ويرى صورة محيى أسفل صورة محيى الدين المنصورى الجد فيغمض عينه في أسى ويخفض رأسه في تأثر وما أن يلتفت محسن يجد إيهاب فيجده مطأطأ الرأس متأثراً فينظر في عينه من مكانه لاتنم نظرته عن شيىء محدد فيتقدم إيهاب ويحتضن محسن بود ومحبة هنا ينسحب حجاج على الفور ويقوم بغلق باب المكتب خلفه محدثاً صوتاً عن قصد منه تاركاً إياهم معا دفعاً لأي حرج

إيهاب وهو يقف قبالته بمكانه الذى لم يبارحه قائلا

إيهاب :

-لولا الأب ما كان الحفيد

..أنت من ربطت بينهما

محسن يرد في أسى وندم

-لم أقدر.. ولم ألحق من تقديم شيء له

يعذبنى كونى لم أقدّر قيمة ما لدىّ

ضيّعتهم ..

تركونى وذهبوا ..

كانوا هم النور .. واختفوا من حياتى في لحظة

صرت أقرب إلى مصباح تالف

بأسى بالغ وتعاطف كبير ويمسك بذراعه برفق في زجر مدفوعا بود وحرص عليه عميقين

إيهاب :

- كفاية جلد لذاتك يامحسن ..إن الله غفورٌ رحيم

محسن :

-غفور رحيم..نعم

و شديد ذو انتقام وهنا تتجلى الحكمة في منتهاها

رحمة ولطف وعفو وشدة ومؤاخذة وعقاب

إيهاب ينظر له مطرقاً في إستغراب يحاول أن يفهم ما يقصده محسن

***

خلفية موسيقية لمعزوفة من ألة الساكسفون مع البيانو جمعت نغماتها بين الرقة والدفء مع شدو متصل بلاحروف في قوة من الحضور

يتمشي محسن مرتدياً ملابسه البيتية بجامة بسيطة باللون الأزرق الغامق إلا أنه يتوقف إلى جانب من الغرفة وردية اللون التى يحمل أثاثها لمسة جمالية من نقوش

وزخرفة رقيقة ودقيقة على زوايا الدولاب وحواف ظهر السرير المبطن بقطيفة حمراء قانية

مطليان باللون الأبيض وكذا باقى قطع أثاثها وعلى الأرض سجادة كبيرة تغطى أغلب أرضيتها مرسوم عليها غزلان على عشب بجوار جدول ماء تضاهى لون الجدران والأثاث غلب عليها اللون النبيتى الفاتح بعدما أغلق دلف الدولاب الأربع واحدة تلو الأخرى بمفتاح يحمله وسط سلسلة بها عدة مفاتيح ويبتعد عن الدولاب خطوات منصتا للموسيقى

ويجذب الكرسى وهو يربت على ظهره بخفة ويتحسس ذراعيه المنجدين بالقطيفة الحمراء القانية وجلس إلى المكتب الموضوع في جانب من الغرفة عليه أوراق وفازة بها زهور متنوعة قصيرة الطول ومجسم من النحاس

صغير الحجم لبرج إيفل وأخرى من المرمر الشفاف باللون الكريمى لرجل وإمراة متقابلان يفتح كلا منهما ذراعيه مستقبلا الأخر

يميل على أوراق فوق بعضها في تلقائية ممسكا بقلم من علبة مزخرفة بها عدد من الأقلام الملونة ويكتب بإسترسال..

كان يجب أن أنتبه لهذا ؟!.. كما كان عليك أن تكونى قوية لتبقى هنا لأطول وقت.. تعشين عمرين وتحينّ مرات

يُحكّم إمساك القلم فى إنفعال ..

رقتها وحساسيتها المفرطة قضت عليها !..وكتمانها المستمر وصمتها الكثير في أوقات الغضب !..

لمّا إرتضيت من هشاشتها ما هىء ووفر لي منها ما يرضينى!

ولم أهتم لما سيقويها ويدعمها فيحفظها لى ؟!

لما قصّرت معها ؟ ولم أكون عونا لها

لتصير أكثر صلابة وتقوض تلك الهشاشة البالغة ؟!

يمتقع وجهه محسن فجأة ويضغط على سن القلم وهو يجّعد جبهته فى إستنكار وإستياء ويواصل الكتابة ..

ما كان منها أن تمنحنى الصفح في كل مرة أتسبب في إيلامها وجرح كبريائها ؟..لما حمّلتى نفسك كل هذا ؟!

هل كان يتحتّم عليك أن تقاومينى وترفضى تصرفاتى فأصلّح من أفعالى حرصا عليك ؟ أم ولأنك لم تفعلى كنت أكررها وأنت كالعادة تغفرين ؟!

ولولا هذا لكنا الأن ما بعض؟!

أنا أهذى ! ولكننى أتألم بشدة لأجلك

فقد إحتملتينى أكثر من اللأزم

كان أولى بك أن تذهبى وتكون الأن موجودة بأى مكان تختارين

إلا أن تغادرينى أنت وميمو وتتركونى هكذا أعوى وسط ألامى ولوعتى وندمى

.محسن يشرد قليلا وهو يزردر من ريقه بإستمرار ودمعة تلمع في عينه

مع أنك يوم أخبرتينى برغبتك في الطلاق !

بما أخبرك ؟ لا أستطيع شرح هذا كما شعرت به ولكن سأحاول !..

وجدتنى أنتفض من الداخل على وخزات من الوجع وأصابنى دواراً أفقدنى توازنى شعرت أن زلزالا قد وقع من حوالى وثان بداخلى فاهتزت كل أركانى وأنقبض قلبى وإعتصرنى الألم

هل كنت جادة في طلبك هذ؟!

بعدما غادرت البيت بذلك اليوم ! أولا سامحينى أننى أفلّت كف ميمو من يدك

حقا أنا أسف ..

يرفع القلم ويتوقف ويتنهد وتتلاحق أنفاس ويستئنف كاتبا..

ليلا دخلت غرفة ميمو بعدما عدت وجدته ينتظرك رفض أن يتناول طعامه وكانت شفتيه جافة وريقه صلب ونظرات عينه حائرة وتائهة كان خائفا ينكمش في سريره يحمل قصته الملونة كان ينتظرك لم تأتى لم نجد أنا وهو من يحتضنا ويهدىء من روعنا ويدفع كم المخاوف التى داهمتنا ولأول مرة منذ أن تزوجنا كنت أنا من يحتضن ميمو كنت خائفا وقلبي يتلوى كانت من أكثر الليالى قسوة على نفسى عدت سنوات بعيدة إلى أن وصلت لعمر ميمو كنا طفلين منكمشين في سرير ينتظران أمهما حتى تعود

حبست دموعى حتى لايراها ابنى فهو كان يحتاج أن يطمئن فكذبت عليه وقلت أنك ذهبتى إلى عمتك التى تترددين مرات قبل أن تذهبى لرؤيتها أخبرت ميمو بأنها مريضة فأتصلت بكِ لتكونى بجوارها وأنها تريدك معها

أما عنك فأنت لاترتاحين لها ولاتودين رؤيتها فأنتِ هكذا تحملّين نفسك فوق طاقتها

أتعرفين عمتك تحبك بشدة سأخبرك كيف فيما بعد ولكن أيضا ما فائدة حبها أن كان يصدر منها كل ما يؤذيك ما الجدوى من حب يفضي لفعل يسبب لنا الألم !..

هل حبك لنا أفضى لهزيمتك؟ ..وإيلامك وضياعك من نفسك ومنا ؟!

ربما تصلّح وتغيّر عمتك من طريقة معاملتها لك وأسلوبها معك إن أبديتى أنتِ لها تحفظا أوإبدا الرفض فكانت لتتوقف

لما لم تظهرى لها أن أفعالها وأغلب تصرفاتها معك تؤلمك وتغضبك وتضايقك؟.. ولكنكِ كنتِ تصمتين وهذا خطأ كبير بحقك فلما لم ترحمى نفسك من مثل هذه الأفعال والمواقف وهؤلاء البشر ؟!..

تعرفين؟.. عندما جاءت أختى في اليوم التالى أخبرتها بطلبك الطلاق اندهشت وتأثرت بشدة كنت أود أن أرى في عينها أن هذا من محبتها لك وأنها تخصك برد فعلها بقدر ما ولكنها كانت مذهولة من حالتى ياكريمة كدت أبكى كطفل ألقت به أمه في طريق لم أتقبلها من أمانى أن تقول لى أن الدنيا مليئة بالنساء وهل أنتظر أن تخبرنى حتى وهى فى غمرة شفقتها علياً ورغبتها فى التخفيف عنى؟!

كنت أريد أن تقول سأذهب إلى كريمة وأهدئها وألح عليها لتعود إلى بيتها فأنتما روح في جسدين ولاغنى لها عنك وأنتِ لأيضا وأن ما مر هو سحابة صيف ستنقشع أختى تحبنى وردها قد ألمنى تظن أن هذا هو من حرصها علياً إن أحبائنا لايترددون في إيلامنا في كل الأحوال مهما تباينت النوايا فهي الأخرى لاتختلف عن عمتك

في قلبها حبك وفعل يتجه إلى إيلامك فهل ثمة علاقة بين ما يصدر من أحبائنا ومستوى الألم الذى يتسببون فيه لنا ؟!

ليت لو تم أعفائنا من محبتهم ولا يمسنا أذاهم !..سكت لحظتها وحبست دموعى التى رأتها أمانى وكان هذا يثيرها أكثر ويذيد سخطها عليكِ ودهشتها من أخيها الذى تعده قدوة ومثال للرجل القوى ولكنها مخطئة هنا

أيضا هل من العار أن أبكى وأنا في شدة الألم لمجرد أنى رجل ؟!.. فما دام هناك ألم ما فما دخل هذا بنوع الجنس؟! إن الأخرين متأهبون دائما لإساءة الظن بكل ما يتعلق بنا مقاصدنا ومشاعرنا وكلامنا وحتى صمتنا!..

فكرت في أن ألحق بك ونعود سويا الى بيتنا ولكننى قرأتها فى عينك ولمستها من صوتك بعزمك على نويتي وتفوهتى به!.. صدمنى طلبك لو ثورتى في وجهى أوأهنتينى أمام الجميع لحظتها ربما كان أهون من قولك لن أعيش معك .. طلقنى!

ثم لما لم تكونى واحدة من نساء كُثيرات يعلمن بخيانات أزواجهن ولايثرن مثل ثورتك ولايغضبن مثلما كنت تغضبين ولم يطلبن الطلاق كما فعلتى ؟! أما كنتِ تعلمين بوجود هؤلاء لما لم تفعلى مثلهم ؟!.

أما ما يتردد في أن الرجل لايخون بلا سبب فهذا غير صحيح لأن الرجل يخون ويفكر في أن يخون من لا سبب وأغلبنا هو من يُوجد السبب

متى كنتُ قاسيا إلى الحد الذى أكون السبب الأول والوحيد في معاناة من هم الأقرب إلى والأحب

متى كنت قاسيا لهذا الحد الذى أكون فيه السبب الأول والأخير

والوحيد في شقاء أقرب وأحب من يكون لقلبى

ابنى وزوجتى ؟!

يميل إلى الورق يدقق في السطور يتحسس الحروف بتأثر وحنين وفجأة تلمع خاطرة في ذهنه فيتهلل وجهه ويميل على الورق ممسكاً بالقلم ويكتب من جديد..

كريمة أتذكر هذا جيدا -

سمعت أمى وأنا صغير تقول مرة : إن من يرحلون .. تظل أرواحهم على صلة بإحبائهم .. متصلة بهم , يشعرون بهم ويقلقون عليهم ويشتاقون إليهم فيأتون في مناماتهم .. ليَطمئنوُا ويُطّمئنوا .. يتكلمون ويتبَسمون أو يصافحون ويعانقون أو صامتون ومعاتبون .. أعلم أن روحك لن تهتم لحال معذبك .. فللأجل الروح البريئة التى سبقتك تعالي.. لأراك ونتقابل كل يوم .. يستريح قلبي قليلا حتى نلتقي .. لأجله لا تقطعي كل الود.. لاتحرمينى منك إلي الأبد .. تعالي في منامى .. أنتظرك

تعالي ياكريمة ..

يميل القلم جانبا فيما يتحسس بإصبعيه حروف إسمها بلوعة في إستعطاف

والدموع تترقرق بماقيه وإبتسامة ترتجف أعلى شفتيه

***

سهيلة تنزل على درجات السلم ويتبعها طرفى روبها الحريرى الواسع والذى ترتديه فوق قميص نوم قصير كاشفة عن ساقان ممتلئان في إستدارة ينسدل على كتفيها على شعرها الطويل الذى يتمايل يمينا ويسارا وهى تتغنج وتتمايل تنظر على محسن المستغرق بالنوم على الكنبة في الصالة

يشاهد التلفزيون والتى تبث وتنقل شاشته فقرات قصيرة منوّعة من مبارايات لألعاب رياضية مختلفة فتتقدم وهى تنظر عليه في حنو وتنزل على ركبتيها عند رأسه وتمد كفها تتحسس صدره تتأمله بحب وتطبع قبلة على خده فينتبه ويفتح عينه يجدها فيتأمل عيونها التى تناجيه فى إشتهاء وعتاب معا فيعتدل فى مكانه قائلا

محسن:

- نمت بعد الماتش .. كم الساعة الأن؟

سهيلة:

-العاشرة والربع

محسن:

-أول مرة أنام عقب مباراة !..يروق لى سماع أراء المحكمين بعد كل مباراة ومشاهدة اللقطات المُعادة من قفرات مهمة فيها

سهيلة تنصت إليه متفهمة لكل كلمة قالها ومنتبهة للطريقة المتلعثمة التى يتحدث بها ونظرات عينه التى يهرب بها منها ولاترد بيد تقوم فى هدوء وتجلس على الكرسى المجاور للكنبة التى هب من نوما جالسا عليها وتسترخى فى مكانها و تتثاءب فيلتفت عليها يتفحصها بإستغراب دونما أى كلام

***

أصوات موسيقى صاخبة في صالة الألعاب الرياضية سهيلة تجفف عرقها فور إنتهاء فقرات التمرين مرتدية ترننج سوت أصفر بنصف كوم وشعرها قد جمعته وربطته على شكل ديل حصان تسير بإتجاه الباب الزجاجى الذى يكشف عن أخريات بالصالة مستغرقات في عمل التمارين وبينما تفتح الباب لتخرج تتعثر في مشيتها فتتدارك الأمر وتستند إلى الزاوية الحديدية الثابتة للباب الزجاجى وتمرق منه إلى جانب غرفة تبديل الملابس وهى تمسح على شعرها وتتنهد بضيق

بعد دقائق تنطلق بسيارتها إلى جانب الطريق يفكك الهواء خصلات شعرها ، ترتدى بلوزة زرقاء وبنطلون أبيض وقد بدا وجهها باهتاً و نظراتها عينها

مهمومة

***

وقت الظهيرة داخل أحد أروقة المحكمة والتى تزدحم بالمحامين والموكلين وسط حالة من الإستنفار والصخب وأصوات الأشخاص مع بعضهم في حين يظهر محسن مغادراً إحدى القاعات وبيده حقيبة جلدية وخلفه أخرون يخرجون منها بعضهم ينظرون عليه بطرف عيونهم في ترقب بينما يتقدم هو في الردهة ثم يتجه جانبا وهو يخلع عنه الروب الأسود غير عابىء أو هو غير منتبه لما يحيط به همهمات ونظرات تلاحقه من محامين زملاء له على إستحياء تارة وفي أخرى بفضول وبشىء من الشماتة من البعض والتى تقول عيونهم هل بدا يتماسك بعدما جرى له وعصف بحياته أم هو في طريقه لتجاوز ألامه ومحنته الكبيرة ؟!

يدرك محسن كل هذا ولايهتم له كثيرا أو يستوقفه رغم ما يتسبب فيه من ألم فما به فاق كل ما سواه ..

ويطلق زفرة قوية وهو يضغط على أحد الأزرر من أمامه فيندفع الهواء من الشباك إلى داخلها مصافحاً جانب وجهه ويبعثر شعره ويظل مع تقدمها للأمام يحدث أزيز قوى

***

ساقان عاريان مرفوعان إلى واجهة السرير وتستندان عليه بينما تغوص سهيلة بجسدها في وسط السرير مرتدية شورت حريرى زهري اللون والقطعة العلوية بنفس اللون تغطى ثدييها مربوط بشريط عريض عند الرقبة للخلف ، وتمسك بسماعة التلفون وتتكلم همساً

وهى غافية يغلبها النعاس وفجأة ينفتح باب الغرفة ويظهر محسن الذى يندفع ناحيتها مباشرة والغضب يتلبسه ويقوم بخطف السماعة من يدها ويقوم بوضعها على أذنه

إلا أنه يهدأ ويخفض بصره في حرج وينسحب من الغرفة في حين تنظر سهيلة له بإستغراب ونفاد صبر ثم تهب واقفة متجاهلة مواصلة المكالمة أو إنهائها وتخرج من الباب ثائرة وهى تنادى بنبرة لائمة

سهيلة :

محسن ؟

وتهرول على السلم لتلحق به إلا أنه لا يلتفت إليها وقد وصل إلى الباب فيفتحه ويخرج حاملا حقيبة أوراقه

***

أمانى تتجنب النظر إلى وجه محسن أو سهيلة وهما يتناولون طعام الغداء لدى محسن في بيته بيد أن سهيلة تنظر إليها ثم لوجه محسن بإستغراب وهى تأكل ببطء بلاشهية وبشيىء من التأفف والضجر تتردد في أن تنهى طعامها وتغادر السفرة إلا وتظل جالسة مكانها تتظاهر بأنها تأكل وعينها على محسن ربما تنتظر أن يقوم هو أولا متحاشية أن ينهرها لو أنها قامت قبلهم وفي الجوار يأتى صوت طفلتا أمانى تلهوان بالداخل فتتوقف على أثر ذلك سهيلة عن المضغ وتلتفت ناحية الصوت بوجوم ونفاد صبر فيلمحها محسن الذى يخفض بصره بسرعة متظاهراً أنه لم يراها أما أمانى فتدرك كل ما يجرى حولها وترفع الملعقة بالشوربة تبلع بغصة وعينها مليئة بالحيرة والتوتر !..

***

ساعة الحائط يظهر من خلف غطائها الشفاف قرص الأرقام والذى يتحرك بالداخل منه العقرب الكبير نحو رقم ٨ بينما الصغير يتوقف فوق رقم ١٢ يلمح قرصها الشفاف وهو يكاد يفتح عينه فيعلن التوقف عن العمل فيغلق ملفاً بين يديه ويهم محسن برفع جسده فيجد مشقة في ذلك بسبب ما مر من وقت متواصل عليه وهو ثابت على كرسيه لايتحرك فصارت مفاصله شبه متيبسة ولم تطاوعه ليقوم في سهولة ويسر فما أن حاول أن يقف راح يتوجع قليلا فأبطىء من حركته وقام على مهل مبتعدا عن المكتب وبدأ

يتمطى بحذر محركا رقبته بخفة وحرص مرة إلى جهة اليمين ومرة إلى جهة اليسار وفجأة تلمع في عينه خاطرة يغمض على أثرها عينه على مضض ويرفع جاكيته في أليه يرتديه ثم يضع تلفونه في حقيبة أوراقه الجلدية ويرفع سلسلة مفاتيحه من على سطح مكتبه ثم يغلق نور غرفة المكتبة ويخرج ويغلق الباب من خلفه وهو ينادى بصوت واضح مرهق بعض الشيىء

محسن:

حجاج؟ حجاج

فيهرول بإتجاهه حجاج قادما من الداخل وقد خلا المكتب من أى أحد

يتطلع حجاج في وجه محسن وهيئته التى تظهر ما عليه من حالة إرهاق واضح فيقول في حنان ومحبة

حجاج:

- نعم ياأستاذ محسن؟

محسن وهو يتجه ناحية الباب ليخرج

محسن:

-أقفل أنت ..يلزمك شىء؟

حجاج :

-يلزمنى كتير

فيلتفت إليه محسن بإستغراب يحدق فيه بعين متعبة

محسن :

-قول ياحجاج بسرعة

حجاج:

-سلامتك ياأستاذ محسن

يلزمنى تأخذ بالك على سلامتك

وفي تأثر وشفقة

-أسمح لى حضرتك بتتطفىء يوم عن يوم!!

فيلتفت له محسن بكل ما فيه وينصت له وتظهر إبتسامة في عين وأمل كأنما سره ما رأه حجاج عليه

فيبتلع ريقه في إرتياح ويتبّسم بينما يظن حجاج أن رسالته قد وصلته على نحو حسن

أما محسن فيلتفت مغادرا المكان وهو يفكر فيما قاله حجاج ويحلَ بريق خاطف فى عينيه وإشراق مفاجىء على قسماته وجهه وكأنه قد مسه سحر

***

مرت شهور الحمل و حان موعد ولادة عايدة التى تسير في أمام الغرفة المخصصة للولادة بالمستشفى ذهاب وجيئة إستعداداً للحظة الحاسمة وهى تتوجع في مشقة وتعب بادياً عليها بينما أشرف كلما صرخت يركض ناحيتها من مكانه بزواية في جانب من المكان فتميل على كفه الذى يفتحه بعصب مشدود فب تأهب لترخى بعض ثقلها عليه ويمد ذراعها إلى تحت إبطها الأخر ويسندها بحذر ثم تفلت يدها وتواصل السير مجددا تطلق صرخة مفاجئة يتعلق عينا أشرف بوجهها إلا أنها تعاود السير من جديدة ويسير هو إلى مكانه ببطء ومن خلفه تواصل هى التحرك في المكان وتنظر الممرضات عليها في ترقب وهن يواصلون عملهم في الغرف المجاورة

عايدة تئن بصوت مكتوم من جديد وهى تعض على شفتيها ، يمتقع وجهها بشدة

فيلتفت عليها وقد سيطرت عليها حالة من الترقب والقلق والخوف !..التجارب الأولى تجعل بعض الأشخاص يشككون في معارفهم ولايستندون إلى تجاربهم السابقة يتصرفون في المواقف كأنها الأولى من نوعها ربما لقلة خبرة أو لخوف وقلق شديدين تجسدت الثانية فى حالة أشرف الأن وهو ينتظر مولوده الأول

***

صوت جرس المنبه يقطع الهدوء والسكون الذى يلف أجواء المكان وسط تلك الإضاءة الخافتة المائلة إلى اللون البرتقالى المنبعث من جانب بالغرفة في حين سهيلة تنام على إحدى جانبيها شبه عارية تحت غطاء السرير

الوردى يرتخي على أثر الحركة ليغطى مقدمة صدرها ماراً من أسفل بطها إلى منتصف ظهرها يرتخى على ساق واحدة والأخرى ممددة لطرف السرير وشعرها مفكوك يتجمع خلف رقبها على الوسادة ، وعند الرنة الثالثة للرنين تنتبه فتمد يدها ببطء إلى الكمود المجاور للسرير وتحمل التلفون وتوقف جرس المنبه وتقوم في مكانها ببطء وهى تسند بإستدراك طرف الغطأء إلى صدرها بإحكام وهى تنظر إلى جانب في الغرفة والتى تظهر في حالة من الفوضى فملابسها الداخلية ملقاة على طرف كنبة في الجوار وبلوزة صفراء تستقر على قاعدة كرسى جانباً وعلى الظهر بنطلون أبيض ملقى على أطرافه ، تتمطى سهيلة في مكانها بصوت غير واضح متعب ومتبرم حال من لم يحصل على قسط وافياً من النوم المريح ، فترفع ساقيها جانبا لتغادر السرير .

***

أشرف يتنهزها فرصة ويتسلل بعد توجه عايدة إلى الحمام ويسير على أطراف أصابعه ويحرك مقبض الباب ويدفع الباب بحرص في هدوء دونما أن يفتح مصباح الغرفة يسير إلى الداخل وهو يبتسم تلمع عينه بفرحة و يميل على سرير صغير يتأمل وجه الطفل الوليد النائم على أغطية ملساء ناعمة بيضاء اللون في جانب من الغرفة بجواره دولاب ملابس صغير بالكاد يظهر باقى محتويات الغرفة الخالية من الإضاءة إلا من إبجورة في زواية منها ينبعث منها ضوءاً أبيض خافت

ويمد وجهه في مستوى وجه الطفل يتفحصه عن قرب ويتأمله في حنان وإستغراب معا والفرحة تملاء عينيه يغلق عينه ويفتحهما مرة وثانية وثالثة ومع كل مرة تتسع حدقة عينه وترتسم الإبتسامة على شفتيه غير مصدقاً

لما يرى وينتبه على يد تجذبه برفق من ذراعه للخلف تبعده قليلا عن السرير فلايتحرك أشرف مصراً على موقفه تغمره الفرحة و يكتم ضحكة فتميل عايدة على ظهره وهى تقف من خلفه تميل برأسها وهى تلف شعرها بفوطة خضراء مرتدية روب أحمر من القطن السميك الممتزج بخيوط صوف وبرية وتميل برأسها على ظهرها تحك أنفها بين كتفيه مداعبة وتقبله بحب وتمد كفيها تمسح بهما على كتفيه وهى

تقف خلفه وتمذ ذراعيها وتلفهما بذراعيها حول خصره وهى تستند بخدها على ظهره فيعتدل فى وقفته وهو يقف أمامها مستمتعا بحرارة جسدها الملاصق لجسده يغمض عينه فى نشوة ويدفع رغبة قوية بها

***

سهيلة تبدو مرهقة بعض الشيىء عائدة من جولة تسوق تحمل بكلتا يديها عدد من الشنط مختلفة الحجم مزركشة وأخرى تحمل أسماءاً بحروف كبيرة ومطبوع على ظهرها صورة لقطع من الملابس وعلى أخرى صور زجاجات عطور تفلت من يد لتغلق الباب خلفها ومالت ثانية وحملتهم بيدها فتتفاجىء بوجود محسن بداخل غرفة مكتبه فيتهلل وجهها وتدخل إليه وبيدها مشترياتها وتضعهم أمام باب غرفة المكتب على مرأى من محسن الذى يهم بالوقوف من كرسيه

تتلاقى عيونهم فتبتسم له وتدندن في غنج ودلال بكلمات من أغنية محببةً إليها

سهيلة :

أنا .. بحبك.. بحبك أنت ..

بحبك.. زي ما أنت

وتبتسم وهى تتقدم تنظر لمحسن والذى يحدق في عينها فقط ولايتكلم فتواصل الدندنة

في قسوتك .. وتضحك

في شدتك ..آه .. و في غيرتك عليا

فيتأملها في صمت ثم يسعل إذانا ببدء الكلام ويتبدل وجهه تعكس عينيه غضب مكتوم يحاول ألا يسيطير عليه

وبصوت مهزوز متهدج

محسن:

- كنتى فين؟

بإستدراك وتعى مايقصد إلا أنها لاتبدل نظرة عينها أو تسحب إبتسامتها

وترد بهدوء فى ثبات

سهيلة :

-كنت بحاول ..أنسي اللى أنا فيه

فيرمقها بترقب وينصت في تحدى مما يجعلها تستفز ولكنها تتظاهر أنها لم تتأثر فتبتسم وهى تهز رأسها في عتاب

-أيام شبه بعض.. وكلها لا لها معنى ولا طعم

سهر.. جيم ..تسوق .. تسوق ..سهر ..جيم

متوقعتش أن العيشة معاك مملة كده وباردة كده

فينظر لها محسن بضيق ولايرد

تتنهد بضيق وتتخطى كثيرا مما ودت لو أن تقوله فتعض على شفتيها بتأنى تركن إلى الصمت لبرهة وهى تتطلع في وجهه

بينما هو يتجنب النظر في عينها رغم حالة الإستياء والضيق الظاهرة عليه

-أنت مرتاح ؟.. مبسوط معايا ؟

-أنا حبيتك.. أنت حبتنى يامحسن؟

فيرفع عينه وينظر لها منصتا ولايرد يتفحص هيئتها دونما أن يظهرلها هذا يستجمع كل الموقف والأجواء وكل ما يحيط بهما في اللحظة الأنية يستعيد عرضه بداخل مخيلته للتحقيق والتأكيد على أن ما يحدث بالفعل يحدث ويتنهد في إرتياح وتلمع في عينه نظرة أمل وإستبشار بيد أنه عابس يذم شفتيه في ضيق

من مكانها لاتتحرك تبلل شفتيها بريقها وهى تتنهد

متسائلة ..

-أتجوزتتى ليه يامحسن ؟!

فينظر لها بفضول وإستنكار معا وتظهر إبتسامة على شفتيه وذات نظرة الأمل تستقر على وجهه تعكسها عينيه ! إلا أنه يخفيهما بالتظاهر بالسخط ونظرات الإستنكار ورفض ما تقول لاتهتم لكل ما يبدر ويظهر عليه وتظل تسأل وتترقب إجابة شافية منه ولما لا يرد تسأل من جديد..

-أحنا مش سهيلة ومحسن ؟! أحنا أتنين تانين .. جري لنا إيه ؟

-موت ابنك السبب ؟ بدلك معايا كمان

وبإستدراك وتتخطى ما كانت ستكمل وتقول

-أنت بتكون كده فى البيت ؟ دي طبيعتك ؟

-أروحلك هناك ؟ .. في المكتب ؟!

يهتز في مكانه بيد يتظاهر باللامبالاة مما قالت فما قالته نال منه إلا أنه لايريد أن يظهر لها هذا ويتجاوزه حتى بداخله حتى أنه يتخطى ما قد يحرك ويثير ما قالته بداخله وكمن أعد وجهَز ما سيقوله

محسن :

- بتكلمي مين فى التلفون كل يوم؟

ترد وكأنها متأهبة لما ستسمع سهيلة تفهم محسن أكثر من نفسها على ما يبدو

فتهز رأسها ساخرة

سهيلة :

كل يوم ! ..و عرفت ازاى؟

محسن :

-بتروحي فين ؟ والوقت اللى بتقضيه بره ده! مع مين ؟

تكرر ما قالته في ضيق وإستنكار وهى تتأمله بإستغراب كأنها تتعرف عليه!

سهيلة :

-مع صحباتي

فينظر لها بتشكيك

سهيلة:

-وإن كنت مش مصدقني أتصل بيهم أدامي حالا واسألهم

محسن لايرد ويظل يتفحصها بتشكيك مكررا سؤاله

محسن :

-كنتي فين؟

فتنهره سهيلة قائلة

سهيلة:

-قلت لك كنت مع صحباتي بنعمل شوبنج

وتشير من مكانها بذراعها ناحية المشتروات دنما أن تتحرك أو تلتفت

محسن : لكي يومان من كل إسبوع ..الإثنين والأربعاء

بتخرجي فيهم من تسعة الصبح وبترجعي قبل ما باجي أنا بساعة واحدة

بتقضيهم مع مين ؟

فتهز رأسها فى تحدي وإستنكار وتكتم غضبا يشتعل بداخلها

وتعاود فى حزم وفضول معاً سؤالها السابق

سهيلة:

-اتجوزتنى ليه ؟

وبغصة وتأثر

-أتمنيت تحبني زي ماحبيتك..أنت محبتنيش

قبلت الجواز منك وأنا معرفش ليه ! مفكرتش أتجوزك خالص ..

-وافقت لما لاقيتك بتلج ومصمم !

-ما احنا كنا بنقضى أحلى الأوقات مع بعض ..ده أحنا أحسن وأقرب لبعض من اللي احنا فيه دلوقتي !! ..

فيقاطعها وهو ينهرها غاضبا ..

محسن :

-اسكتي !

سهيلة تمسك أول الخيط فتهتز في مكانها فتنظر جانبا بخيبة أمل وقد تحققت من الإجابة التى طالما غالطت نفسها بشأنها فتتظاهر بأنها مازالت تريد معرفتها وسماعها منه ولكنها تشفق على نفسها وتلمع الدموع بعينها وتتلعثم وهى تعيد نفس السؤال ..صارخة

سهيلة:

-أتجوزتني ليه ؟

بإمتعاض

محسن:

-كفاياكِ أسئلة ملهاش معنى .. وجاوبيني!!

-ها .. ردى علىّ

بصوت متهدج واهن متردد وعينها تفيض بالدموع والتأثر

سهيلة:

-كنت فاكراك محتاجني ..عايزني ..أنسيك حزنك وأكون معاك ..

-نعيش سوا ونبقي لبعض هنا

يلتفت جانباً بكل وجهه إلى الناحية الأخرى في عصبية وسخط يكتم غضباً هائلاً يريدها لو تذهب , أن تخرج أو تصعد أو تختفى من أمامه , وأن تتوقف عن الكلام

وفي كل ما يبدر منه وتعكسه نظرات عينه وتستشعره تتأكد سهيلة إلى أكثر مما توصلت إليه بإحساسها ومن خبرتها به

سهيلة :

- أتجوزت باللي ظبتطك مراتك معاها ؟

يغادر مكانه خطوات ويشيح في وجهها ثائرا

محسن :

-اسكتى

سهيلة :

-إتجوزتني علشان ترَيح نفسك من عذاب ضميرك

محسن :

- اخرجى .. اسكتى .. اخرسى

سهيلة :

-أخلصت لك بالرغم من تبدل طباعك ومعاملتك ليا

-صدك ونفورك مني وقسوتك عليَ وتشكيك في سلوكي وتعمدك إهمالي

-رغم تبدل طباعك معى و معاملتك ليا وصدك وقسوتك عليا ّ وتشكيك فى سلوكى وتعمّدك إهمالى

يحملق في وجهها ويتفحص هيئتها بريبة كمن يود لو أن الحقيقة غير ذلك تستطرد ..

-إزاى أخونك وأنت في قلبي ؟!

محسن يهدأ قليلا فيعود إلى مكانه خلف مكتبه ويهوي على كرسيه

لا تهتم لعينه المليئة بالغضب ونظراته المتوعدة وتواصل حديثها فقط فيما ينصت هو على مضض

-معرفش إزاى كنت بتخون فى مراتك وأنت بتتدعي أنك قال بتحبها متقولهاش ..مكنتش تقولها .. وقف كلامك ده ..و متقولهوش خالص

وتلتفت غير مبالية به وهى تقول جازمة

-أنت مبتحبش غير محسن

وتلتفت ناظرة في عينه بقوة

-وإن كنت مش عايزني مش هكمل معاك .. وهسيبك وأمشي

وتخرج من المكتب متجهة إلى السلم تصعد درجاته في خطى مسرعة

محسن يقوم من مكانه ليلحق بها أو ليقول ما صمت عن قوله لها منذ قليل ولكن قدميه لاتحملانه وكأن الأرض تتفتت تحتهما فيهبط جالساً في كرسيه وتتلبسه حالة من التخبط والغضب والعجز والأمل ، لايدرى أيهما يمثل لحظته وينظر لأعلى حيث توارت هناك سهيلة وهو لايجد مايقول فيهمهم بغصة و لوعة بصوت مرتعش فى أسى وحنين وندم

-الخيانة مرة..

و يجهش بالبكاء

-ولكنها ياكريمة ليست أقسي علىّ من فقدانك

***

العقد الأزرق

عبير ضاهر

تمت

بحمد الله

سمعت أمي وأنا صغير تقول مرة: إن من يرحلون تظل أرواحهم على صلة بأحبائهم، متصلة بهم، يشعرون بهم ويقلقون عليهم ويشتاقون إليهم، فيأتون فى مناماتهم، ليَطْمَئِنوا ويُطمْئِنوا، يتكلمون ويتبسمون، أو يصافحون ويعانقون، أو صامتون ومعاتبون.

أعلم أن روحك لن تهتم لحال معذبك، فلأجل الروح البريئة التى سبقتك تعالي لأراك ونتقابل كل يوم ليستريح قلبي قليلًا حتي نلتقي.. لأجله لاتقطعى كل الود، لاتحرميني منك إلي الأبد، تعالي فى منامي.أنتظرك.